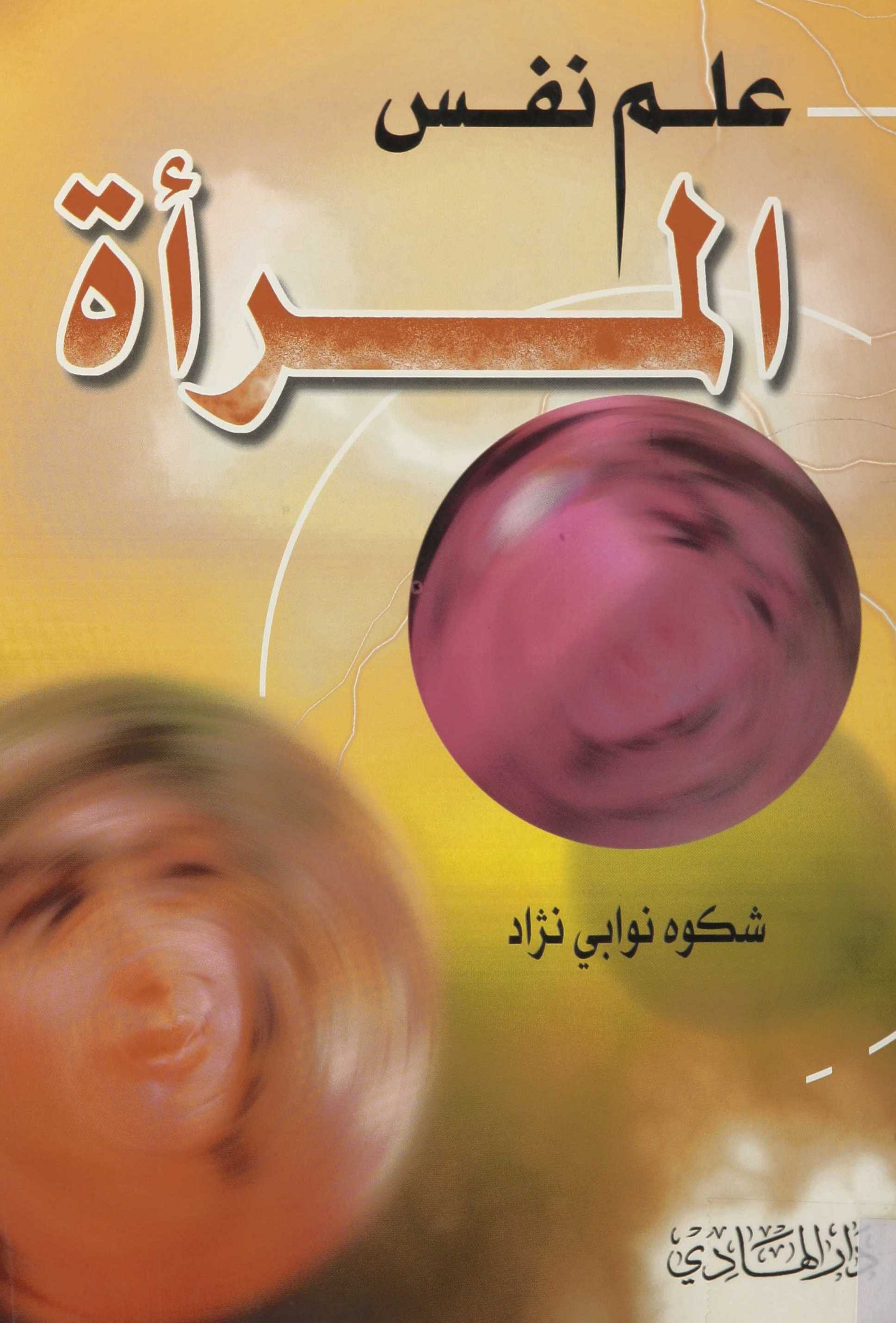

علم نفس
المرأة
شكوه نوابي نژاد
دار الهادي

علم نفس المرأة

الدكتورة شكوه نوابي نژاد

الطّبعَة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٥٥٠٤٨٧ / ٠١ - ٨٩٦٣٢٩ / ٠٣ - فاكس: ٥٤١١٩٩ - ص.ب: ٢٨٦ / ٢٥ غبيري - بيروت - لبنان

Tel.:03/896329 - 01/550487 - Fax: 541199- P. O. Box: 286/25 Ghobeiry - Beirut - Lebanon

E-Mail: daralhadi@daralhadi com - URL: http: //www. daralhadi.com

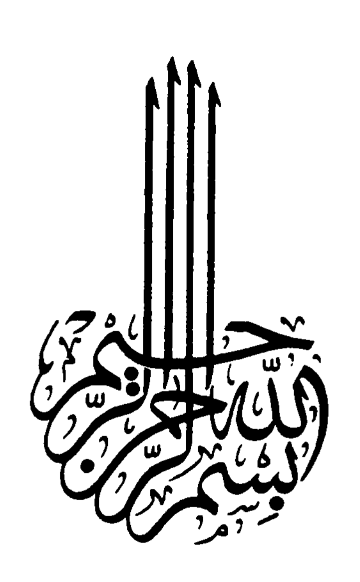
علم نفس المرأة

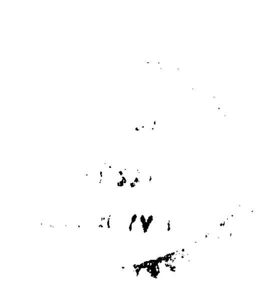
تأليف الدكتورة شكوه نوابي نژاد

ترجمة
زهراء طيوري يگانه



للطباعة والنشر والتوزيع





حياة المؤلفة في أسطر

الدكتورة شكوه نوابي نژاد، هي إحدى الشـخصيات المـعروفة المتمرسة في مجال علم النفس الاستشاري، وقلما نجد عائلة إيرانية لم تسمعها أو تشاهدها خلال البرامج الإذاعية أو التلفزيونية الخاصة بالأسرة أو الشباب.

نالت الدكتورة شكوه نوابي نژاد شهادة البكالوريوس في عـلم التأهيل والمشاورة النفسية من الجامعة الاميركية في بيروت بـلبنان وحصلت علىٰ شهادة الدكتوراه في فرع علم النفس الاستشاري من جامعة نبراسكا في اميركا. وتقدم نشاطاتها في الوقت الحاضر ضمن سلك التدريس الجامعي. والمؤلفة الىٰ جانب التدريس الجامعي في مختلف مراحله ونشاطاتها السريرية والتحقيقية، تتعهد بـمسؤوليات متنوعة فيما يخص النساء والشباب.

قامت الدكتورة نوابي نژاد حتىٰ الآن بتأليف وترجمة (٢٠) كتاباً نال اثنان منها جائزة أفضل كتاب في السنة.

ويعد كتاب «علم نفس المرأة» وهو ثـمرة ثـلاثين عـاماً مـن التجارب والتحقيقات في مجال علم النفس الاستشاري، أول كتاب

مؤلَّف في مجال علم نفس المرأة في إيران. ويمتاز الىٰ جانب طابعه العلمي العام بالخصائص الشعبية والثقافية المطلوبة من أي تحقيق إيراني ـ وإسلامي أيضاً.

ويبشر كتاب علم نفس المرأة ببداية النشاطات التحقيقية الخاصة بالنساء على الصعيد الجامعي في إيران وخاصة في مجال الدراسات النفسية. ومن شأن هذا الكتاب أن يكون مصدراً ودليلاً لمثل هذه الدراسات.

الناشر

المقدمة

علم نفس المرأة: هو علم يتضمن مواضيع ومطالب متنوعة تمتاز بأهمية بالغة في حياة المرأة التي تمثل نصف المجتمع العالمي. ولكن هذا الموضوع لم يلق العناية المطلوبة في أبحاث علم النفس حتىٰ الآن، إلّا أنه (علم نفس المرأة) حاز هذا الاهتمام في الوقت الحاضر إذ يتم تدريسه في الجامعات العالمية باعتباره موضوع علمي تحقيقي يستحق البحث والتقصي.

وهذا الكتاب يهتم بالدرجة الاولى بدراسة دورة حياة النساء على الأصعدة المعيشية والنفسية والاجتماعية إستناداً الىٰ نتائج الابحاث الجارية. صحيح ان التجارب المعيشية التي تمر بها النساء تكون في أغلب الاحيان مشتركة مع الرجال، ولكن هناك كذلك فوارق بارزة وجلية بين الرجل والمرأة. وهذه الفوارق هي التي تهيىء بشكل طبيعي الأرضية والظروف الاجتماعية المتباينة في حياة كل منهما. وعلم نفس المرأة مهما يستند الى نتائج الابحاث والرؤى العلمية ـ العملية، لكن لا يمكن استيعابه ومعرفته إلّا بدراسة المؤثرات الاجتماعية المتعلقة بهذا الموضوع والمسائل الثقافية والعقائدية والاجتماعية التي تتمسك بها أو تنبذها المجتمعات المختلفة.

ونظراً لتجاربي الخاصة في مجال دراسة القضايا المرتبطة

بالنساء ومتابعة الأبحاث الجارية حول ذلك واحتكاكي المستمر بالمجتمع النسوي لطبيعة مهنة العلاج النفسي الاسري التي أمتهنها فإني عقدت العزم على تأليف سلسلة علمية وثائقية في مجال علم النفس. وقد مَنَّ الله سبحانه وتعالىٰ عليَّ بالتوفيق في هذه الفرصة.

وهذا الكتاب إضافة الىٰ أخذ تجاربي في مجال مطالعة ودراسة قضايا المرأة بنظر الاعتبار يستند الىٰ أحدث المعلومات والنتائج التي توصلت إليها الابحاث وكذلك المصادر الفارسية والانكليزية المتوفرة في هذا المضمار.

ويستهدف هذا الكتاب تحقيق أمرين:

الاول: إعادة النظر في قضايا المرأة إنطلاقاً من خصائصها والمشاكل الخاصة التي يعاني منها هذا النصف من المجتمع.

الثاني: دراسة الطرق الحديثة والمثمرة لردع الصدمات النفسية التي تواجهها النساء بشكل عام وطريقة تخلصها من تبعات هذه الصدمات في حالة الحاقها بالمرأة.

يعتني هذا الكتاب بدراسة طبيعةالمرأة وخصائصها من النواحي المعيشية ، التاريخية، النفسية، والاجتماعية وبشرح النظريات المتنوعة التي تهتم بموضوع رقي النساء والمشاكل التي تعاني منها في المراحل المختلفة من الحياة.

ولايخفىٰ أن المرأة تتمتع في كافة المجتمعات المعاصرة بمكانة تختلف تماماً عما كانت عليه في ماضٍ ليس ببعيد. فهي إضافة الىٰ دورها الهام في إدارة شؤون المنزل وتربية الأطفال. تعتبر اليوم يد

عاملة تساهم في تقدم المجتمع، بما لها من قدرة علىٰ تحمل الشدائد النفسية والضغوط المهنية شأنها شأن الرجال. وتصدي المرأة لاعباء المسؤوليات الادارية والقيادية علىٰ المستويات المختلفة لم يساهم في منحها الثقة بالنفس والصرامة في العمل فقط بل أعاد لها مكانتها كإنسان فاعل في المجتمع.

ان التقدم السريع الذي شهده العلم والإبداع وتحسن مستوىٰ العناية الصحية أحدثا تغييرات عامة في النماذج الحياتية أدت الىٰ تحقيق نجاحاً نسبياً في مجال تحديد النسل ومنحت الناس أملاً في حياة أطول أمداً. لقد طرأت تطورات سريعة في العلاقات التقليدية بين الرجل والمرأة أيضاً. واستطاعت المرأة، من خلال عملها وحصولها على دخل خاص بها، ان تحصل على الاستقرار والاستقلال الىٰ حد ما، مما ترك آثاراً طيبة في مسار حياتها وهيأ لها فرصة الرقي والتطور في المجالات المختلفة. ومع ذلك فان تفشي المشاكل المتعددة الناجمة عن إضمحلال القيم الاخلاقية والدينية في المجتمعات مهد السبيل أمام تعرض المرأة للممارسات اللاإنسانية والاعتداء على حقوقها. وهنالك اليوم تساؤلات معقدة جداً تُطرح حول القضايا المتعلقة بالمرأة. ومنها ماهي المكانة والحقوق التي تتمتع بها المرأة في المجتمع الانساني المعاصر بما لها من دور في الحفاظ علىٰ قوام الاسرة وتربية الجيل الجديد؟ ومن هو المسؤول عن التنسيق بين دوريها المهمين في الاسرة والمجتمع؟.

يرىٰ بعض مؤيدي نهضة تحرر المرأة الذين سعوا الى إعلاء

مكانة المرأة الى حد تساويها مع الرجل والتظاهر بتعزيز مكانتها بهذا الشكل، ان الوشائج الودية بين الرجـل والمـرأة يـمكنها ان تـتبلور خارج نطاق الاسرة. إن اضمحلال دور المرأة الأم وربة البيت ينجم عنه تضارب أدوار ووظائف كل مـن الزوج والزوجـة فـي الاسـرة، ويقضي كذلك على دور الكيان الأُسـري فـي الحـفاظ عـلىٰ قـوام المجتمع برمته.

وفي هذا المجال يحتفظ الاسلام، هذه الرسالة الانسانية، بخلود نِدائه الرامي للحفاظ علىٰ حياة الانسان على مدىٰ العصور والأزمنة، فهو يمنح المرأة شأناً ومكانة تهتم بدراستها الأوساط العالمية كـافة. ومهما يكـن اخـتلاف آراء فـقهاء المسـلمين حـول حـقوق المـرأة والقوانين المتعلقة بها ـ إذ يواجهون صعوبات في تـبسيط جـزئيات العديد منها ـ ولكن جميع هـؤلاء المـفكرين والفـقهاء واسـتناداً الىٰ ماجاء في القرآن الكريم، متفقو القول على اهتمام هذا الديـن القـيم بكرامة الذات الانسانية على حد سواء بين الرجـل والمـرأة. وتـمنع الآيات الشريفات ـ التي نزلت إحتراماً لنساء مثل مـريم وآسـية وأم موسى ـ أصحاب الرؤى الفكرية المتحجرة عن الادلاء بآراء مبتذلة حول المرأة كما فعل رواد سائر المذاهب الفكرية.

ان سلوك رسول الله ﷺ مع بضعته الكريمة فاطمة الزهراء عليها السلام مثال جلي لمـا قـيل. إن هـذا الاهـتمام الخـاص الذي أولاه نـبينا الجليل ﷺ لابنته لم يكن بهدف اعـلاء شأن المـرأة ومكـانتها بـين القبائل الجاهلية والحديثة العهد بالاسلام فقط بل أنه سعىٰ أكثر من

هذا للادلاء بصورة الشخصية الفريدة والمثال الكامل للمرأة في الابعاد الفردية والاسرية والاجتماعية المتنوعة وعلىٰ مدىٰ العصور المختلفة.

لقد تم تأليف هذا الكتاب العلمي التحقيقي ليكون مصدراً من مصادر دراسة طلاب الجامعات في المراحل البدائية والمتقدمة. ومن شأنه أيضاً أن يكون مصدراً يعود إليه علماء النفس والعاملون في سلك الصحة النفسية وكذلك سواد الناس، بهدف معرفة المرأة وكيفية مواجهة الصعوبات والمشاكل التي تتعرض لها.نأمل ان يساهم المفكرون والباحثون والطلبة في مديد العون لنا برفدنا بانتقاداتهم وإرشاداتهم واقتراحاتهم.

الدكتورة شكوه نوابي نژاد

آيار ١٩٩٨

الفصل الاول

مقدمة حول تاريخ علم نفس المرأة

تشكل النساء أكثر من نصف سكان بلادنا ومع هذا فان أكثر القضايا الخاصة بالنساء أو التي ترغب النساء بمطالعتها أما أودعت سجلات النسيان أو وضعت في قائمة القضايا الهامشية. وعلم النفس كذلك أغفل عن أكثر القضايا المهمة الخاصة بالمرأة.

والهدف من تأليف هذا الكتاب هو إجراء تحرّ ودراسة شاملة لقضايا المرأة والتي تؤثر بشكل مباشر في حياتها الشخصية والعائلية والاجتماعية.

ومن هذه القضايا: مقارنة الرجل بالمرأة، جوانب التشابه والاختلاف الاساسية بينهما، الاحداث والوقائع المهمة في حياة المرأة والمؤثرة في مسيرة رقيها كالدورة الشهرية، الحمل، الولادة، سن اليأس وقضايا اخرىٰ تتعلق تقريباً بالمرأة كالعنف و...

وكتاب علم نفس المرأة يتطرق أيضاً الىٰ تجارب النساء في مجالات كانت لسنين طوال حيّزاً خاصاً بالرجل كالتقدم والنجاح الدراسي والمهني و... وفي بادىء الأمر لابد من بسط وشرح عدة

اصطلاحات تتمتع بأهمية خاصة في علم نفس المرأة. وسـيتم أولاً دراســـة مـصطلحين مـثيرين للـجدل فـي هـذا المـضمار واللـذين يستخدمان أحياناً كمصطلحين مترادفين في المعنى وهـما: الجـنس والجنسية. ويختلف هذان المصطلحان مـن حـيث أن: الجـنس هـو الاساس الحياتي لوجود المرأة والرجل. إن التـحقيقات التـي تـقوم بمقارنة الرجل مع المرأة إنما تحلل الفوارق بين الجنسين بينما تشمل الجنسية الخصائص النفسية المتعلقة بالمسائل الاجتماعية أكثر مـن الحياتية منها. وبهذا يمكننا ان نعرف التصورات الجنسية العامة بأنها تصورات عامة الناس عن الخصائص التي يجب تميز المرأة أو الرجل بها.

وسيتم في هذا الفصل أولاً التطرق الى تاريخ علم نفس المرأة ثم التحدث عن بعض المشكلات التي تواجه أبحاث هذا العلم.

تاريخ علم نفس المرأة

أخذ علم النفس مجراه بين سائر العلوم الاخـرىٰ فـي طـليعة القرن التاسع عشر. وقد بدأ الباحثون منذ ذلك الوقت بإجراء الابحاث النفسية التحليلية حول المرأة، حيث استرعت المـطالعات الجـنسية ودراسة الفوارق الجنسية انتباه الباحثين منذ البداية. وعلم نفس المرأة الحديث الذي ظهر الى الوجود في أواخر الستينات من القرن الماضي يبتعد خلافاً للابحاث القديمة عن الإتجاهية والانحيازية.

الابحاث والدراسات القديمة حول الفوارق الجنسية

اهتم أكثر علماء النفس بالمرأة عند دراسة الفوارق الجـنسية،

وبما ان معظم هؤلاء الباحثين كانوا من الرجال فان تلك الأبحاث قد وقعت بشكل طبيعي في شراك الانحيازية والاتجاهية.

يدلي استيفان شيلدز[١] برأيه حول هذه الابحاث بالقول: «تعتبر الانحيازات الفردية والعاطفية والمزاعم غير المؤكدة وغير الموثوقة و... من المواضيع المثيرة للجدل في هذه الابحاث التي استندت عند دراسة اختلاف حجم دماغ المرأة والرجل من المنظار العلمي مثلاً الىٰ نظرية التكامل».

كان الاعتقاد السائد لدى العلماء في هذه الابحاث ينص علىٰ إن أعظم القوى الفكرية في الانسان تقع في الفص الجبهوي من المخ ولهذا كانت هذه الابحاث تؤكد أن الفص الجبهوي عند الرجال أكبر حجماً من الفص الجبهوي لدى النساء. وبعد عدة أعوام أثبت العلماء ان أعظم القوىٰ الفكرية تتركز في الفص الجداري لا الجبهوي. وفجأة وفي غاية الدهشة توصل الباحثون الىٰ هذه الحقيقة التي أكدت الابحاث السابقة خلافها وهي أن الفص الجبهوي لدى النساء أكبر حجماً مما هو عليه في الرجال. وبينت الابحاث كذلك أن حجم الفص الجداري في دماغ النساء هو أيضاً أكبر حجماً من الفص الجداري في دماغ الرجال[٢].

ومن الفوارق الجنسية التي أولاها الباحثون القدماء اهتمامهم بالدرجة الثانية هو سعة نطاق تذبذب درجة قابليات الرجال في كثير

---

1 - Stephaine Shields.

٢ ـ باتريك Patrick.

من الخصائص التي يمتازون بها، على العكس من النساء كالذكاء مثلاً (شيلدز ١٩٨٢). وذلك يعني أن الرجال من حيث درجة الذكاء قد يتمتعون بأعلىٰ درجة منه وقد يقفون في أدنى المنحني المرسوم لهذه القوة الفكرية بينما تمتاز النساء دوماً بمعدل متوسط من حيث التمتع بالذكاء.

يبدو أن تفوق درجة ذكاء بعض الرجال عن الحد المتوسط هو الذي استرعىٰ انتباه الباحثين متناسين أن الرجال وبنفس درجات الإحتمال قد ينحصر الذكاء لدى نسبة مئوية أكبر منهم بما هو دون الحد المتوسط الذي تمتاز به النساء. وعلىٰ أية حال فان السيدة ليتاهولينغورث[1] ـ كشفت في أوائل العقد التاسع من القرن الماضي خلال مجموعة من الأبحاث الشاملة والمقالات العديدة ـ النقاب عن حقيقة الأمر وهو عدم توفر أي دليل يثبت وجود الفوارق الجنسية بين الرجل والمرأة من ناحية تذبذب القابليات، سواء في المصادر المطبوعة أو في معطيات الدراسات الجارية حتى الآن.

أهمية علم نفس المرأة

تضاءل الاهتمام بموضوع الفوارق الجنسية وعلم نفس المرأة منذ العقد الثاني وحتىٰ نهاية العقد السادس من القرن الماضي. بينما كان أكثر علماء النفس واخصائيي هذا العلم في العقد التالي

---

1 ـ Leta Holling Worth.

(السبعينات) هم من النساء. وتزامن ذلك مع انضمام موضوع نهضة تحرر المرأة الىٰ قائمة الابحاث النسائية التي اهتمت بها الجامعات آنذاك. يقول دينمارك[1] (١٩٧٧): «ان تزايد الاهتمام بالنساء قد ترك آثاراً ملحوظة على علم النفس». وفي عام ١٩٧٣، تم تأسيس فرع جديد في جمعية علم النفس الاميركية يتناول دراسة موضوع علم نفس المرأة بشكل خاص.

لقد تطرق علماء النفس في هذه البرهة الزمنية الى الاجابة عن تساؤلات حول الجنسية لم تطرأ على الأذهان فيما سبق.

الخرافات السائدة وعلم نفس المرأة

تطرق جميع العلماء والفلاسفة منذ قديم الزمان لشرح نظرياتهم حول المرأة في كتاباتهم ومنهم الفيلسوف اليوناني الشهير ارسطوطاليس، الفيلسوف الفرنسي اللامع جان جاك روسو والفيلسوف الالماني الكبير فريدريك نيتشه. واهتمام هذا الكتاب بهؤلاء الفلاسفة ليس من باب تأييد أفكارهم وتصوراتهم الخاصة بهم والمتشابهة مع بعضها حول المرأة بل لان افكارهم وآراءهم الفلسفية لم تتعرض أبداً منذ ايامهم تلك وحتىٰ الآن الى البحث والنقاش. فهؤلاء يرون ان المرأة كائن أدنىٰ شأناً من الرجل وإن تمتع المرأة والرجل بالمساواة من حيث المكانة أمر غير مقبول وغير منطقي.

---

1 _Denmark.

واستمر كثير من العلماء علىٰ هذا النمط من التفكير حتىٰ السبعينات من القرن الماضي حيث أزاح أنصار مساواة المرأة والرجل ـ في محاولة لكشف الحقائق (عن طريق الاستدلال والمنطق) ـ الستار عن تيار معاداة المرأة الخفي في الابحاث العلمية، من خلال تحرياتهم وتفسيرهم الدقيق لمجريات الامور[١].

مناقشة موضوع مساواة المرأة والرجل

إن الايمان بعدم مساواة المرأة والرجل اعتبر من المسلّمات في الانظمة الفلسفية التي اعتمدها كبار العلماء منذ عهد اليونان القديم وحتىٰ عصرنا الحالي. إلّا أننا الىٰ جانب ذلك نلحظ وجود رأي آخر يلقي بظلاله الخافتة على المجتمع. وهو يعتبر كل من المرأة والرجل إنساناً مع وجود الفوارق الحياتية الواضحة بينهما، ولابد لكليهما ان يتمتع بفرص متساوية في المجتمع وكذلك إزاء القانون مما يمنع وقوع المرأة تحت سيطرة الرجل.

ان أول وأعظم فلاسفة القرن الرابع افلاطون ـ استاذ أرسطو ـ عند تطرقه للحديث عن المجتمع المثالي في رسالته «الجمهورية» يعد النساء طبقة مرموقة ومتحكمة في المجتمع ومحافظة وإن كان قد خص الرجال بمكانة أعلىٰ شأناً من المرأة في نفس الطبقة الاجتماعية، كما أنه نفى وجود الملكية الفردية لما ارتآه في نظريته

---

١ ـ مولتن ١٩٧٦، پيريس Pirce ١٩٧٥.

من حق الزواج الأحادي والاسرة الواحدة الخاصة.

يستدل إفلاطون علىٰ قوله هذا كما يلي: «ان النساء والرجال متشابهون في كافة الجوانب والأبعاد فيما لو استثنينا القابلية الجسمية وقضية الحمل والولادة. ولهذا يجب ان يتمتع النساء والرجال المحافظون بحقوق متكافئة من التعليم والدراسة بغية التهيؤ لاداء واجباتهم ووظائفهم الاجتماعية. ولابد للمرأة أن تهتم بالرياضة كالرجل وعليها أن تمتنع عن الحمل قبل سن العشرين» (وهذا ما يخالفه صغر سن أكثر الامهات آنذاك).

قد يحق لنا القول أن أهم دور قام به افلاطون هو تعيين الفوارق الفردية بين شرائح النساء وكذلك الرجال. يقول: ان كل من الرجل والمرأة لَقِيا من لدن الطبيعة عناية بالغة ومتساوية. والمجتمع أيضاً لم يهب أي منهما امتيازاً خاصاً لكونه رجل أو إمرأة فقط[١].

جاء في كتاب «حول موضوع المرأة (١٨٦٩) للفيلسوف وعالم الاقتصاد السياسي الانكليزي جان استوارت ميل[٢]: ان القانون يمنع وقوع المرأة فريسة تحت هيمنة وإستبداد الرجل. ولهذا يجب ترسيخ قواعد قانون التساوي الكامل في هذا المضمار، إذ ليس لأي منهما إمتياز وأفضلية على الجنس الثاني كما لايحط أي ضعف أو نقص من شأن النوع الآخر إزاء النوع الأول.

إن آراء جان استوارت ميل كما نلاحظ تتشابه مع آراء

---

١ ـ بيشوب وينزويغ Bishop and Weinze Weig.

2 _John Stwart Mil.

افلاطون، فعلىٰ الرغم من أنـهما يـعتقدان بـضرورة تكـافؤ الفـرص الدراسية والمهنية وحقوق المرأة والرجل فهما يريان ان الزواج هـو في حد ذاته مهنة وأن علىٰ النساء ـ نـظراً للـفوارق المـوجودة بـين الرجل والمـرأة ـ ان لايـتعلمن أي مـهنة أخـرىٰ الىٰ جـانب مـهنة الأمومة»[1].

النظرية الجنسية في علم النفس

ان النظريات الجنسية كغيرها من النظريات العلمية تبيّن حقائق منتظمة في إطار فرضية خاصة وتعكس متطلبات معينة فيما يخص موضوعها.

مفهوم الفوارق في البناء الجنسي

لايمكن تحديد الكيان الواقعي لكل من المـرأة والرجـل مـن وجهة النظر الهيكلية بشكل دقيق فجلّ اهـتمام مـؤيدي هـذا الرأي يكون متركزاً على أفراد الجنس الآخر دون ابناء جنسه المماثل.

والجنسية مفهوم واصطلاح ردده باديء ذي بدء أنصار نـهضة تحرر المرأة في أميركا الىٰ جانب مفهوم الاختلافات الاجتماعية بين الجنسين (اسكات ١٩٨٥)[2]. وهنالك اختلاف في وجـهات النـظر حول الفوارق الاجتماعية والحياتية في كـلا الجـنسين خـلال هـذا التعريف. ففريق يتصور أن هذه الفوارق تكسب المرأة قـيمة وكـيان

---

١ ـ آناس ١٩٧٧.

2 _ Scott.

خاص ويعتقد فريق آخر ان التأكيد على الفوارق يساعد علىٰ ترسيخ الوضع القائم بين الجنسين في المجتمعات المختلفة بما يبديه من دعم لانعدام المساواة واستمرار نظام هيمنة الرجال في الحياة.

وتتبنىٰ النظريات الجنسية بشكل عام الاختلاف الوضعي. وهي تنقسم إلىٰ إتجاهين متعارضين: «الاتجاه ألفا والإتجاه بيتا (هايف[1] ـ ستين[2] ١٩٨٧).

الاتجاه ألفا: هو الاتجاه الذي يميل للإفراط في مسألة الفوارق بين الجنسين والاتجاه بيتا يعمد الىٰ غض النظر عن هذه الفوارق أو الاعتراف بالحد الأدنى منها.

الإتجاه ألفا: الاتجاه ألفا وكما ذكر يتضمن الافراط في إعتماد الفوارق، المرأة والرجل طبقاً لهذا الرأي كائنان مختلفان بل متناقضان أيضاً. ولهذا الرأي جذور تاريخية في فلسفة الشرق وهو ملحوظ أيضاً في كتابات فلاسفة الغرب منذ عهد أرسطو وحتىٰ بيغن وديكارت ولاك وروسو وغيرهم.

يبين بيغن نمط الاختلاف بين الرجل والمرأة في نموذجه العملي كما يلي: «الرجل مظهر من مظاهر الدليل والاستدلال، الابداع، والتحضر، والمرأة كائن ينضح بالمشاعر والمحبة» (كلير ١٩٨٥)[3].

ويرىٰ فرويد ان الرجل ومظاهره التشريحية يعد المقياس

---

1 _ Have.

2 _ Muslin.

3 _ Keller.

والقاعدة والمرأة ومظاهرها التشريحية مثال الخروج عن القاعدة. والنظريات النفسية التحليلية الاخيرة تضع تجارب المرأة في دائرة تبعد كل البعد عن دائرة تجارب الرجل. ان اريكسون (١٩٦٤) يخص المرأة بالتزامات حياتنة، نفسية، اخلاقية وعاطفية في مجال تربية الأطفال. ويلخص حقيقة الكيان الرجالي في مميزات، مثل: الهياج، حب الرقي، شجاعة المخاطرة والمساهمة في النشاطات السياسية.

يرىٰ پاسونز في نظريته ان أدوار الرجال والنساء أدوار ثابتة ومتمايزة بل متناقضة مع بعضها. إنه يؤكد ان الرجال أداة والنساء أداة اخرى، أي أن الرجل كائن مسؤول وملتزم بواجباته والمرأة كائن عاطفي ملتزم بعلاقاته وطبيعة الرجل هي التي تؤهله للعمل والحياة العامة بينما المرأة مظهر طيب من مظاهر خدمة الآخرين وترجيح احتياجات الأسرة علىٰ الاحتياجات الشخصية .

يؤكد پارسونز علىٰ ضرورة التفكيك بين مجالات عمل ونشاطات الرجل والمرأة للسيطرة علىٰ منافساتهما واحتكاكهما بغية الحفاظ علىٰ استقرار الاسرة.

غيليغان[1] (١٩٨٢) أيضاً يرىٰ أن المرأة مظهر من مظاهر حسن المعاشرة والرجل أداة منطقية في الحياة. إن رأيه حول الرقي الأخلاقي للمرأة هو إنعكاس للفوارق الجنسية المذكورة من قبل أريكسون وفرويد، إلّا أنه يعتبر وجود هذه الفوارق أمراً إيجابياً.

---

1 _ Gilligan.

يرىٰ غيليغان أن معاشرة الآخرين هو أساس كيان المرأة وأن أخلاقها رافد من روافد الطبائع المستخلصة من العناية بالاطفال. ويقول أنصار نهضة تحرر المرأة في فرنسا ان التمايز بين اسلوب التكلم ورغبات كلا الجنسين يعود إلى اختلاف البنية الجسمية وتجارب عهد الصبا لكليهما. (دونوفان[1] ١٩٨٥).

الاتجاه بيتا: يجنح هذا الاتجاه الىٰ غض النظر عن الفوارق الموجودة بين الجنسين أو الاعتراف بالحد الأدنىٰ منها. وهذا الرأي لايحتفظ لنفسه بمكانة تذكر بين النظريات النفسية التحليلية ولم تعره النظريات التي تتدارس شخصية وتكامل الراشدين اهتماماً حتىٰ العقود الأخيرة. فأكثر نظريات علماء النفس كانت حتىٰ قبل برهة وجيزة تعمم سلوك الرجل علىٰ بني الانسان كافة وتأخذ الرجل بنظر الاعتبار في مقياس الاستقامة والمرونة في تصرف الانسان وتحسب سلوكه سلوك جميع الناس ويسعىٰ أصحاب هذا الرأي لمنح إمتيازات متكافئة للرجل والمرأة على أصعدة السياسة، التربية والتعليم، الحقوق وغيرها. ويحاولون حثيثاً لتعليم المرأة مهارات كانت في زمان ما خاصة بالرجل كالصرامة،الاستبداد وطرق الادارة.

علم نفس المرأة والقيم العلمية والاجتماعية

لم يترك الفلاسفة سواء ممن يعادون المرأة أو من طلبة المساواة

---

1 _ Donovan.

تأثيراً بالغاً علىٰ حقائق حياة المرأة في القرن التـاسع عشـر، فـعلىٰ سبيل المثال لم تثير نظرية نيتشه ولا تأكيدات ووصايا ميل دورانت ـالمطالبة بالمساواةـ تحفزات سلبية كثيرة لدى الفريقين. بل ظـلت صورة المرأة الخالدة فـي الأذهـان كـربّة بـيت مـتميزة بـمشاعرها وعواطفها المقدسة هي الصورة المنشودة في المجتمع ويتم تـعريف دورها دوماً في إطار المحافظة على القيم الاجتماعية المثالية. وكانت المرأة تعتبر كائناً متمايزاً وأحط شأناً من الرجل.

والسبب الأساسي الذي يستدل به علىٰ هذا الرأي هو حرمان المرأة من الخصائص والقيم والمميزات الرجالية كالاختراع، الإبداع، قدرة السيطرة على المشاعر والقدرة على التعلم.

وتتطابق هاتان النظريتان بشكل كامل مع بـعضها فكـل مـنها يحاول وببراعة، الإتيان بالمبررات التي تسلب المرأة حقها في الحياة الاجتماعية وتحدد دورها بمجالات تتطلب ميزات خـاصة كـالرقة والحنان والتضحية والإيثار. وتُلقّن المرأة بالفعل بأنها غير قادرة علىٰ القيام بنشاطات رجالية كاكتساب العلم والمـعرفة والمسـاهمة فـي الانتاج الاقتصادي و... وكانت هذه النظرة الىٰ المرأة قائمة حتىٰ بداية إنتشار علوم النفس الحديثة في القرن التاسع عشر.

وعلم النفس جاء بهدف شرح، استيعاب ومعرفة وتفسير سلوك الإنسان والحيوان ودراسة طرق السيطرة عليها. ولم يلتفت هذا العلم كثيراً الىٰ دراسة شخصية النساء بشكل منفك عن الراشدين.

ان التعريف الحديث حول سلوك الانسان والذي فسره علىٰ أنه

نتاج عملية تطابقه الطويلة الأمد مع البيئة، يرىٰ ان للمؤثرات الحياتية كغريزة الأمومة دور أساسي في تبلور هذا السلوك. وكانت هذه الافكار والآراء محفزاً لدراسة الاسس الحياتية في سلوك الانسان وتقصي حقيقة الفوارق الفردية ومنها الفوارق الجنسية.

وكان للفوارق الجنسية المتمثلة بحجم الدماغ والذكاء والرقي الثقافي والسلوك التربوي الىٰ جانب دعم كبار المفكرين الفلاسفة وعلماء الدين (في بعض المدارس الفكرية) للأفكار المنحازة لهيمنة الرجل، الدور الكبير لتأييد فكرة إنحطاطية مكانة المرأة مقارنة مع الرجل.

وتعتبر تعاليم الدين المسيحي واليهودي ـالمنحرفة عن واقعهاـ حواء «بما أتت به من تمرد عن طاعة الله سَبَبَ طردها وآدم من الجنة، ويعد فلاسفة اوروبا في القرنين الثامن والتاسع عشر، المرأة كائناً ضعيفاً لفقدانها فضائل الرجل وفي كلا الحالتين تفرض إنحطاطية المرأة عليها طاعة الرجل ويُكتفىٰ بإعطائها الدور الطبيعي الذي اختص بها وهو الحمل والأمومة.

لم تكن هذه التصريحات كافية ووافية للعلماء مما حَدا بهم للتحري والبحث عن طرق أكثر تعقيداً وآليات أكثر فاعلية من أجل دراسة المنظورات والملحوظات كاختلاف سلوك الرجل والمرأة. وبدأ هذا التحري إنطلاقاً من المُسَلَّمة القائلة بان المرأة أقل نشاطاً من الرجل في الميادين الثقافية وأنها لا تتعهد بمسؤولية غير العمل داخل البيت. وكان العائق الأساسي الذي يعرقل أمر قيام هذه التحريات هو

صعوبة إعداد المستلزمات الاساسية للاستدلال على هذا الرأي بشكل يقنع أذهان المفكرين الوقادة المتطلعة. ومن الامور التي شغلت رواد علم نفس المرأة أكثر من غيرها ثلاثة فوارق عامة، هي الاختلاف في حجم الدماغ، فرضية عدم تغيّر الخصائص وغريزة الامومة لدى المرأة.

واخصائيو الاعصاب كانوا حتىٰ القرن العشرين يعزون اختلاف الجنسين من حيث الخصائص الشخصية الفردية الىٰ الفوارق الجنسية الموجودة في حجم الدماغ وتنامي أفصاصها المختلفة. لقد أثارت التحقيقات ـ الجارية بغية تعيين مدى صحة هذه الفرضية بعد اكتشاف طرق اختبار الذكاء و.... ـ معارضة الكثير من الأشخاص لان كبر حجم الدماغ كان آنذاك يعني تطور المواهب والقابليات الاخرىٰ في الاشخاص (باتريك ١٩٢٦). وهذا مايدل علىٰ أن كبر حجم الدماغ في الرجال نسبة الىٰ حجمه عند النساء يضفي لياقة للرجال أكثر من النساء. إن هذه الأفكار كانت تطرح من قبل علماء نفس متساوقون مع الظروف ومنظومة القيم في الانظمة الاجتماعية التي تتحكم بمجتمعات عصورهم.

وعلىٰ أساس فرضية تغير خصائص شخصية الإنسان كالذكاء فإن نسبة مئوية أكبر من الرجال تقف علىٰ جانبي الحد الطبيعي في المقاييس السوية المعتبرة. فالرجال حسب هذه الفرضية اما يتمتعون بنبوغ فكري أو بتخلف عقلي. ولهذا يمكننا توقع ازدهار وإنتاج واستثمار أكثر من الرجال وفي الوقت نفسه نجد أن عدد الرجال

الذين يتم رعايتهم في دور رعاية المتخلفين هو أكبر من عدد النساء في هذه المؤسسات. ان أهم ما تفرزه هذه الفرضية هو الانعكاسات الاجتماعية التي تترتب عليها بشأن المرأة. فبما أنها ترىٰ أن الرجل يتمتع بالنبوغ والحذاقة فمن حقه ان تختص به الامكانات التربوية والتعليمية. ولا تنال المرأة حقوقاً تذكر في هذا المجال نظراً لتحديد دورها حسب هذه الفرضية بإدارة شؤون المنزل ورعاية الأطفال.

إن دراسة الفوارق الجنسية كانت ما تزال هواية علماء النفس. ونتائج الابحاث الاخيرة لم تؤيد صحة المعطيات السابقة بل أثبتت العكس منها تماماً في بعض الحالات (موكوبي[١]، جاكلين[٢]، شيلدز[٣] ١٩٧٤). ان مفهوم غريزة الأمومة الذي يعزي السلوك الأُمي في مجال التربية الى أسس حياتية وذاتية تشترك فيها كافة إناث الحيوانات، يعتبر من الاصول النفسية التي تنسجم بشكل كامل مع نظرية التكامل الداروينية. لقد كان مفهوم ذاتية سلوك الأمومة لدى المرأة وتأييده من قبل المذهب السلوكي ولسنين طوال موضوع بحث ونقاش بين العلماء.

ويرفض علماء النفس السلوكيون وجود الغريزة في الانسان ويرون ان السلوك الانساني مكتسب. انهم يعتقدون ان المرأة وإن كانت تعتبر التعهد بمسؤولية الامومة منتهىٰ شعورها بالارتياح إلّا أنها

---

1 _ Moccoby.

2 _ Jacklin.

3 _ Shields.

تود المساهمة والتطور في مجالات العمل الاخرىٰ كمهندسة أو معلمة أو ممرضة أيضاً وبنفس الدرجة من الرغبة.

ومع ان البدائل العلمية قد حلت محل الكثير من الخرافات في اعقاب تطور العلوم وسيادة فهم ومعرفة أكثر شمولاً للظواهر الاجتماعية في العالم، إلّا أن هذا التطور أفرز في بعض الحالات خرافات حديثة كتحديد نمط الرؤىٰ وقولبتها في خصوص المرأة. ولم يعتن علماء النفس حتىٰ أواخر الستينات من القرن الماضي بإجراء أبحاث علمية قيمة حول المرأة، ومنذ ذلك الوقت ابتعدت الأبحاث عن الخرافات والقولبة لتتخذ مجراها نحو فهم ومعرفة أكثر واقعية للمؤثرات الحقيقية التي تثير سلوك الانسان.

الفصل الثاني

تكامل المرأة

بغية تقويم الرؤىٰ بالنسبة للمرأة والرجل وحالات الاختلاف والتشابه بينهما، علينا أولاً معرفة كافة المؤثرات الدخيلة في بلورة شخصية كل منهما. إن دراسة حصيلة مراحل تكامل كل من المرأة والرجل في ظل الاختلافات الجنسية التي تميز كل منهما تأخذ بأيدينا نحو تحقيق هذا المأرب في جميع هذه المراحل.

النمو في المرحلة الجنينية وما بعد الولادة

سنتطرق في هذا الفصل باختصار الىٰ النمو الطبيعي ودور المؤثرات الجنينية الوراثية فيه.

الوراثة: تحتوي كل خلية من خلايا جسم الإنسان علىٰ ٢٣ زوجاً من الكروموسومات أي ٤٦ كروموسوماً، و (٢٢) زوجاً من هذه الكروموسومات هي كروموسومات عادية تضم آلاف الجينات المتحكمة بالخواص الجسْمية كلون الشعر، العين، فصيلة الدم، حجم أكبر أصابع الرجل و... إن هذه الكروموسومات لاتترك أدنىٰ تأثير في

تـعيين جـنسية الإنســان. ويـقوم الكـروموسومان المـتبقيان وهـما الكروموسومان الجنسيان بتعيين ذكورة أو أُنوثة الانسان.

وللأنثىٰ زوج من الكروموسومات الجنسية X ويـظهر بشكـل XX. أما في الذكور فيتشكل هذا الزوج من كروموسومين مـختلفين أحدهما X والآخر Y وهو أصغر حجماً من الكروموسوم X فـيظهر هذا الزوج بشكل XY لديهم. بناءاً على هذا تشترك البويضة النسائية ـذات الثلاثة والعشرين كروموسوماً، أحدهما الكروموسوم الجنسي X ـ والحيمن الرجالي ـبنفس العدد من الكروموسومات أحدها أما الكروموسوم X أو الكروموسوم Y ـ في إنعقاد نطفة الجـنين، وبـهذا يكون الرجل هو الأساس في تعيين جنسية الطفل.

النمو الطبيعي للجنين

تمر البويضة الملقحة بعدة مراحل من التقسيمات تؤدي بالتالي الىٰ تكون الجنين الذي يستمر بالتطور من حـيث الحـجم والتـعقيد. ولايظهر التمايز الجنسي عند الجنين حتى بعد ستة أسابيع من إنعقاد النطفة، ويكون كلا الجنسين متشابهين في بداية تكونهما، والاختلاف الوحيد بينهما في المراحل البدائية من النمو يتحدد بنوع الكروموسوم الجنسي.

ان الغدد الجنسية في الجنين المذكر والمؤنث تكون متشابهة في الأسابيع الاولىٰ من تكونه وتبدأ البيضتين في الجنين المذكر الحاوي على كروموزومي XY تدريجياً بالنمو خلال الاسابيع الستة الأولىٰ أما

في الجنين المؤنث ذي الكروموسومين الجنسيين المتشابهين XX يبدأ نمو المبيضان متأخراً نسبياً أي بعد أثني عشر اسبوعاً من تكونه.

الاختلافات الجنسية في مرحلة مابعد الولادة

الأبحاث المتطرقة لدراسة مرحلة ما بعد الولادة تعيننا للإجابة علىٰ هذه التساؤلات.

١ ـ هل ان الاختلاف الجنسي يرتبط من الناحية العلمية بالوضع الحياتي التكويني (أي الجنس الموروث)؟

٢ ـ أم أن التجارب المتنوعة التي يكتسبها كل من الذكور والإناث في بيئتهم الاجتماعية (بيئة النشأة) هي التي تفرز هذه الاختلافات؟

وسنحاول هنا تحليل بعض الحالات، مثل النمو الجسمي والإدراكي، مستوى النشاط، مدى الأخلاق والسلوك الاجتماعي في هذه المرحلة. وسيتبين من هذا البحث ان الاختلاف الجنسي في هذه المجالات ضئيل وغير متكافىء. وان التشابه الجنسي الأولي بين الجنسين يبرز أهمية وفاعلية دور البيئة في نموهما في هذه المرحلة.

النمو الجسمي والإدراكي

فيما عدا العضو التناسلي لاتوجد اختلافات عضوية كثيرة بين المواليد من الذكور والإناث. ويتميز الذكور بزيادة الطول والوزن بالنسبة للإناث بينما تكون بنية الجهاز العظمي في الإناث أكثر تكاملاً

مما هي عليه في الذكور حيث لايصل الذكور الىٰ الوضع الذي تتمتع به الاناث من هذه الناحية إلّا بعد ستة أسابيع من ولادتهم. والنمو الحركي عند الذكور هو أيضاً أبطأ من نمو الإناث، فالجلوس، الضحك والمشي يبدأ لديهم في مرحلة متأخرة بالنسبة للإناث (هوت[1] ١٩٧٨).

ويتشابه مواليد الذكور والإناث من حيث التطور الإدراكي وتكون طريقة النظر، السمع، التذوق، الشم والاستجابة اللمسية متشابهة بينهما الى حد كبير وبالتالي يمكن القول ان التشابه الجنسي من حيث التطور الإدراكي يكون أقوى من الاختلافات الجنسية في هذه المرحلة.

الحيوية والأخلاق

ينعم مواليد الذكور والإناث بدرجة متساوية من الحيوية والأخلاق. وقد أجريت تحقيقات عديدة حول هذا الموضوع، أكدت بعضها ان الذكور أكثر نشاطاً وحيوية من الإناث. والبعض الآخر يرىٰ أن الإناث متفوقات في هذا المضمار. وبينما أثبتت بعض الدراسات ان الذكور أقل ميلاً للنوم من الإناث، ولا تشير سائر الدراسات الاخرىٰ الىٰ وجود أي نوع من الاختلاف بين الجنسين في معدل النوم. بناء على هذا يمكننا استنتاج هذا الحكم وهو ان الاختلاف في

---

1 _ Hutt.

النشاط الحركي أو الحيوية وكذلك فيمعدل النوم ضئيل جداً بين الجنسين ولاتتحكم به قاعدة معينة (موس[1]، رابسون[2] وفيليبس[3] ١٩٦٨ـ١٩٧٨) وليس هناك اختلاف ملحوظ بين الجنسين في مجال الأخلاق أيضاً.

أثبت موس في أبحاثه ان بكاء مواليد الذكور خلال الاسابيع الثلاثة الأولى من العمر يكون أكثر مما هو عليه في الإناث، إلّا أنه وبعد الاسبوع السادس لايلاحظ وجود أي اختلاف بينهم في هذا المجال.

وتقارير الأبوين حول الشعور بالخوف أو الارتياح والطمأنينة لدى المواليد بجنسيهم، متشابهة الى حد كبير. وتعتقد مجموعة من المنظرين ان الاختلاف في درجة العنف لدى الراشدين قد يعود الىٰ المؤثرات البيولوجية الوراثية التي تتعلق بكل من المرأة والرجل وبمستوىٰ النشاط والأخلاق الاوليين اللذين يمتاز بهما كل من الجنسين، بينما تكون هذه الاختلافات أقل ما يمكن في مرحلة ما بعد الولادة.

السلوك الاجتماعي

يكون السلوك الأجتماعي لدى المواليد من الإناث والذكور

---

1 _ Moss.

2 _ Rabson.

3 _ Phillips.

متشابهاً جداً إذ أنهم ينظرون ويبتسمون عند رؤية الآخرين بشكل موحد.

وتتفوق الإناث علىٰ الذكور قليلاً من حيث التطبع بالسلوك الاجتماعي. لقد أثبت تحقيق أجراه بروكس[1] وماتيوس[2] وآخرون (١٩٨٩) أن الإناث في السنتين الأولىٰ من العمر يتحدثن ويضحكن وينظرن إلىٰ أمهاتهن ويستجبن لهن عند تحدثهن إليهن أكثر من الذكور. إلا أن بقية التحقيقات أكدت عدم وجود أي اختلاف بين المواليد من الناحية الاجتماعية.

بناءً على هذا، نستنتج أن الاختلاف الجنسي في السلوك الاجتماعي لدى المواليد من الذكور والإناث ضئيل جداً وتنسب التحقيقات إزدياد هوة الاختلاف الى المراحل التالية من العمر.

نمط إستجابة الراشدين للمواليد

تولىٰ ذكورة أو أنوثة الانسان من قبل الرأي العام السائد أهمية كبيرة قد تتجاوز أهمية المؤثرات الجينية والمظاهر الجنسية التكوينية الباطنية. فأول سؤال يطرح عند ولادة الطفل يكون حول الاستفسار عن جنسيته وهل أنّه ذكر أم أنثىٰ. إن جنسية الوليد أمر في مستوٍ من الأهمية لدى الأبوين يحدو بهما الى الاكتئاب في حالة عدم تطابقها مع آمالهم. نحن جميعاً قد واجهنا استطلاع الناس واستفسارهم عن

---

1 _ Brooks.

2 _ Mattews.

جنسية الوليد في هذه الحالات. وكذلك نعلم جيداً أن غالبية الأبوين يميلون إلى الذكر حتىٰ عند ولادة طفلهما الأول.

لقد أثبتت دراسة تناولت هذا الموضوع أن ٩٠٪ من الرجال و ٩٢٪ من النساء كانوا يتطلعون الى الذكر عند ولادة طفلهما الأول (پيترسون[1] وآخرون ١٩٨٣). إن الحقيقة المرة التي يؤكدها ترجيح الذكور على الإناث في المجتمعات والثقافات المختلفة هي تباين النظرة والسلوك المتخذ إزاء الجنسين، والتي تضفي على الذكور منذ بداية حياتهم قيمة أفضل من قيمة الإناث. وهذا ما يعكسه اختلاف سلوك الآخرين تجاه الوليد حسب جنسيته وعلىٰ محاور ثلاثة هي: التقييم والتوقع، اختيار اللعب وسلوك الأبوين.

التقييم والتوقع: ان ذكورة أو أنوثة الوليد أمر يوحىٰ إلى الأذهان بمجرد إلقاء نظرة الىٰ هيئة الوليد منذ ولادته. وتكون توقعاتنا وما يترتب عليها في أكثر الأحيان اللبنة الاساسية التي يعتمد عليها الوليد في بناء سلوكه الذكري أو الأنثوي. لقد تبين من الدراسات الجارية ان تصورات الراشدين عند رؤية طفل عصبي المزاج تؤكد لهم أنه ذكر، وأنها أنثىٰ فيما لو ظهرت عليها اعراض الخوف (كوندري[2] وآخرون ١٩٨٦).

وتبين التحقيقات ان للابوين تحفزات خاصة إزاء ثلاثة من خصوصيات الوليد، منها ضخامة الجسم، وأنهم يتصورون ان الإناث

---

1 _ Peterson.

2 _ Condry.

يتصفون دوماً بالنعومة والذكور بالقوة. وينحاز الآباء الىٰ هـذا الرأي أكثر من الامهات ويلتزمون به حتىٰ بلوغ الأبناء السنة السادسة من العمر.

إختيار وسائل اللعب

يضع جميع الآباء والامهات، سواء الأُميين أو المثقفين منهم، لعباً متنوعة في متناول أيدي أبنائهم حديثي الولادة ذكوراً وإناثاً. فالكرة لعلي والدمية لزهراء مثلاً. والطفل يقضي بطبيعة حاله معظم أوقاته مع وسائل اللعب التي يوفرها له أبواه. وهذا مايؤدي تدريجياً الىٰ تبلور مواهب ومهارات خاصة لديه حسب نوع اللعبة. ان تـقسيم وسـائل اللعب بهذا الشكل يلزم الاناث في المستقبل بحياة بعيدة عن الحركة والحيوية أو بعبارة أخرىٰ عن الرياضة في خضم تنمية جـدارتـهن لتحمل أعباء تربية الأطفال.

سلوك الأبوين

إن التمايز لايقتصر على نظرة الأبوين، كما قيل، الىٰ ابنائهم من البنين والبنات بل يتجلى كذلك عند اتخاذهم سلوك مختلف مع كل من الجنسين آخذين الاختلاف بنظر الاعـتبار مـنذ الولادة وحـتى بلوغهم السادسة من العمر في جميع الشؤون التي تخصهم مثل إختيار اللـون أو نوع الملابس التـي يرتديها الطـفل أو زيـنة غـرفة نـومه وأثاثها.

وهنالك أدلة أخرىٰ أيضاً تدل على تباين سلوك الأبـوين مـع أبنائهم حديثي الولادة من الذكور والإناث. ان التـفوق الاجـتماعي الذي تتميز به الإناث عن الذكور حسب الرأي السائد يدفع الابوين لتخصيص مجال أوسع من الوقت المخصص للذكور بغية اجتذابـهن نحو الابتسامة والتحدث، مما يؤول بهن عند الكبر للتمتع بـمهارات كلامية أوسع نطاقاً من الذكور. فهل يـاترىٰ يـمكننا ان نـعلل هـذا الاختلاف بما أولاه لهن الأبوين من عناية وتشجيع خاصين في عهد الصبا ومرحلة مابعد الولادة؟ بينما أكدت عشـرة أبـحاث مسـاعي الأبوين لتنمية المهارات الكلامية لدى الإناث، أشار بحثين فقط الىٰ بذل مثل هذه المساعي بالنسبة للـذكور أيـضاً (مـوكوبي وآخـرون ١٩٨٠). ان الأبوين على اتصال كلامي وعضوي (لمسي) دائمين مع أبنائهم ويكون ذلك مصحوباً بقوة وعنف أكبرين مع البنين. وفي الستة أشهر الأولىٰ من العمر يكون التماس اللمسي مع البنين أكثر منه مع البنات حسب التقارير الصادرة عن تـلك الدراسـات. ويـصبح هـذا الوضع على العكس منه بعد ذلك. على أية حال فـانه رغـم وجـود الاختلافات الجنينية التكوينية والبنيوية بين الجنسين، إلّا ان الفوارق الاساسية بين الذكور والإناث تتأثر خاصة من حيث مستوىٰ الحيوية والسلوك الاجتماعي بطرق التـعامل، نـمط السـلوك المـتبع ونـظرة الأبوين والمحيطين إلىٰ الجنسين أكثر من غيرها من المؤثرات. فآراء هؤلاء حول الجنس والجنسية تعتبر بحد ذاتها من عـوامـل تـعميق فجوة هذه الاختلافات.

النمو في عهد الصبا

النمو ثمرة من ثمار الرعاية والتعليم

ان بعض التطورات الجسمية والنفسية الايجابية تظهر عند الإنسان نتيجة ازدهار وتبلور مؤثراته الباطنية خلال مراحل تكامله. والبعض الآخر يأتي نتاجاً للممارسة والتدرب. فنمو وتبلور المؤثرات الباطنية يكون سبباً في تكون منظومة خواص الانسان التي تتأثر بالوراثة والبيئة معاً. فمجموعة الجينات طبقاً لمقولة عالم النفس الالماني المشهور گزل هي العامل الوحيد لتكون فردية الفرد في دورة حياته.

ان ظهور الخواص الفردية عرضياً في مراحل النمو أمر طبيعي وملحوظ لدى الجميع. فالطفل مثلاً يبدأ المشي بين عشية وضحاها وقد يكتسب هذه القدرة بالذات متأخراً عن أترابه وكذلك التطورات السلوكية الناجمة عن البلوغ تظهر دون أي دليل واضح. ويثير السلوك اللااجتماعي للناشئة في مرحلة البلوغ، اعتراض الكثير من الآباء والامهات. وعلىٰ أية حال فان مشي الأطفال يبدأ في جميع بقاع العالم بصورة فجائية أكثر مما هو ملحوظ في عملية البلوغ والنضج الجنسي.

التعلم والاكتساب

ان التعلم ثمرة لايجنيها الانسان إلّا نتيجة بذله المحاولات والمساعي التمهيدية لنضوج هذه الثمرة. ان كثير من التطورات تحدث

لدى الطفل من الناحية الجسمانية بعد تطبعه بسلوك خاص أو اكتسابه مهارات اخرىٰ وكذلك تأثره بالمثيرات الوراثية. ان الاطفال والناشئة الذين يحرمون من فرص التعلم يعجزون عن كشف وبلورة الكثير من مهاراتهم ومواهبهم الموروثة بالقوة. ان بعض المكتسبات تأتي أثـر التدرب والممارسة المستمرة لعملٍ ما فـي وقت مـعين مـما يـؤدي بالتالي إلىٰ حدوث تغييرات في سلوك الانسان. ونعني بهذا، ان التعلم يتضمن التقليد الواعي لسلوك الآخرين والتكيف لاقتباس قيم ورؤىٰ وسلوك من يوليهم الانسان إهتماماً بالغاً أو يتعلق بهم عاطفياً الى حد بعيد.

نظريات حول اكتساب الأدوار الجنسية

ترىٰ نظرية الاكتساب الاجتماعي دون غيرها من النظريات ان سلوك الراشدين هو النواة الاسـاسية لبـلورة الأدوار الجـنسية فـي الأطفال خلافاً لما تؤكده نظرية النمو الادراكي من كون الأطفال هم الاساس في اكتساب هذه الادوار.

ان تفكير الأطفال حسب هذه النـظرية يـثمر عـنه اكـتسابهم الادوار الخاصة بهم بشكل غـامض. فـنوع الجـنس حسب اعـتقاد كهلبرغ[1] هو الدافع الملح في معرفة الهيئة الجنسية العامة. ان الفتاة تعلم أنها فتاة والفتىٰ يدرك أنه بطبيعة حاله فتىٰ. والاطفال قـادرون

---

1 _ Kohlberg.

علىٰ معرفة شخصيتهم الجنسية بعد العام الثالث من العمر. تؤكد نظرية التحليل النفسي لفرويد المبنية علىٰ ان سلوك الانسان هو مظهر من مظاهر شخصيته الجنسية، تؤكد ان التماثل بين البنين والبنات في المرحلتين الفميّة والشرجية يكون كبيراً جداً وهي لاتؤكد علىٰ دور القوىٰ الخارجية في بلورة القدرة علىٰ معرفة الهيئة الجنسية العامة مثلما نراه في سائل النظريات الاخرىٰ.

وترىٰ نظرية «النمو الإدراكي» ان الطفل يدرك شخصيته الجنسية فيسمي نفسه فتى أو فتاة أولاً ثم يكون قادراً على تشخيص جنسية الآخرين.

نظرية الاكتساب الاجتماعي

تستلزم هذه النظرية ـفي سياق التعرف على الأدوار الرجالية أو النسائية واكتسابهاـ التأثر باحدىٰ الطريقتين التاليتين:

١ ـ تشجيع الطفل أو تأنيبه جراء تصرف ما.

٢ ـ ملاحظة الطفل لتصرفات الآخرين وتقليده إياها. فالطفل في واقع الأمر يكتسب دوره الجنسي كما يتعلم التصرفات الأخرىٰ.

فنظرية الاكتساب الاجتماعي تؤكد على عدم احتياج الطفل للتعلم عن طريق المحاولة والخطأ. إذ أن أكثرهم يتعلمون اسلوب تعميم المكتسبات بالطريقة الثانية أي مشاهدة الآخرين وتقليدهم. ان البنات مثلاً يرغبن في تقليد امهاتهن أكثر من آبائهن وباحتمال أقوىٰ يودّن تقليد من يكافئهن لاعمالهن أكثر ممن يقوم بتأنيبهن ومعاتبتهن

لأخطائهن.

العوامل المؤثرة في اكتساب الادوار الجنسية

أكثر النظريات ومنها نظريتي النمو الإدراكي والاكتساب الاجتماعي تبين ان العوامل الموجودة في العالم الخارجي هي التي تبلور القدرة على تشخيص الهيئة الجنسية العامة لدى الأطفال.

ان الاطفال يتأثرون حسب نظرية الاكتساب الاجتماعي، من جهة بتشجيع الابوين لهم أو تأنيبهم إياهم لما يصدر عنهم من تصرفات. وقد يتأسون من جهة اخرىٰ بالشخصيات الموجودة في الكتب والأفلام والبرامج التلفزيونية فيحاولون محاذاتها في سلوكهم. وهناك مؤثرات متنوعة تترك بصماتها علىٰ طريقة الأطفال والناشئة في اكتساب الادوار الجنسية. وهنا سنتطرق لدراسة هذه المؤثرات باختصار:

الاسرة

الابوان هما أقوىٰ وأهم عامل من عوامل اكتساب الابناء لادوارهم الجنسية. وهما كما قيل يبدون ارتكاسات متباينة إزاء أبنائهم منذ الولادة كل حسب جنسه وبشكل تقليدي عام. ويتم في نهاية مرحلة ما بعد الولادة تعرف الابوين علىٰ شخصية أبنائهم أكثر من ذي قبل مما يؤدي الىٰ تغير ارتكاساتهم وردود أفعالهم لتتخذ لكل جنس منحىً جديد بعد ذلك (أبحاث جاكلين وموكوبي ١٩٨٣).

طرق اكتساب الادوار الجنسية

أثبتت أبحاث مؤيدي نظرية الاكتساب الاجتماعي ان للأبوين دور في تنمية رغبات أبنائهما في إكتساب الادوار الجنسية وذلك عن طريق توفير لعباً متمايزة لكل من البنين والبنات. والأكثر طرافة هو أن الآباء والامهات الىٰ جانب تشجيع الابناء للّعب بوسائل تناسب جنسيتهم فانهم يمنعونهم من القيام باعمال ونشاطات لا تتلاءم مع جنسيتهم (مثل بكاء البنين وفظاظة البنات). ان طريقة تعامل الابوين مع البنين فيما يخص ادوارهم الجنسية كنوع الهندام ونمط الحركات، تتصف بالدقة والحساسية أكثر مما تتميز بها تصرفاتهم هذه مع البنات. وعدم تطبع الفتىٰ بطباع رجالية يعد شذوذاً عن منظومة الخصائص السلوكية التي تقدسها المُثُل الثقافية في المجتمع.

والاسرة كذلك تقوم بتزويد اطفالها وناشئتها بالمعلومات الضرورية حول السلوك الرجالي أو النسائي الصحيح وتتبع طريقة التشجيع والتأنيب بغية ترسيخ هذه الرؤىٰ في الأذهان كاختصاص القوة والفظاظة بالبنين والبكاء بالبنات.

الاستقلال

تشير الاحصائيات والتجارب الى ان ردود فعل الابوين المتمايزة لاتنحصر بحدود الفظاظة لدى البنين والبنات، إذ أنهم يتبعون اساليب تشجيعية متباينة لتعليم ابنائهم الاستقلال في حياتهم. وبتوسيع نطاق الحرية التي يمنحونها للبنين يحاولون تنمية الشعور

بالاستقلالية والثقة بالنفس لديهم. وبتقييد نشاطات البنات يرسخون طبيعة التابعية وعدم الاستقلال فيهن. إذ يمنح البـنين (عـلى سـبيل المثال) الحق في عبور الشارع واللعب بعيداً عن الدار في عمر أقل من عمر البنات. بعبارة أخرىٰ تتعامل الاسرة بتسامح أكبر مع البنين في امور كالخروج منفردين لاقتناء بعض المستلزمات أو قضاء الوقت مع الأصدقاء، ويعتقد هافمان[1] (١٩٧٢) ان الابوين يمدون يد العـون للفتيات عند إرتداء الملابس وإنجاز الاعمال أكثر من البنين حتىٰ في حالة استغنائهن عن مساعدة الأبوين ويكون ذلك واضحاً أكثر فـي حالـة مطالبة البنين والبنـات بمثل هذه المعونة. ان سلوك الأبـويـن مع أبنـائهم من البـنين والبـنات يـمتاز عـلى أيـة حـال بـالتباين والاختلاف.

لقد أثبتت الأبحاث ان الأبوين يُعبِّرون عـن شـعورهم بـالقلق والاضطراب علنياً في أغلب الاوقات عند قيام ابنتهم بـنشاط عـلى انفراد بينما يشعرون بالغبطة والافتخار باستقلالية ابنائهم البنين فـي مثل هذه الحالة. وبتعبيرهم عن مشاعرهم هذه يحاولون تقوية شعور بنيهم بالثقة بأنفسهم. ومع ذلك لايكون هذا الوضع سائداً بين جميع الابوين في المجتمعات المختلفة فمنهم من يحاول تشجيع الفـتيات أيضاً للشعور بالاستقلالية بنفس مستوىٰ الفتيان.

---

1 _ Haffman.

الأقران:

يعتبر الأقران أهم المنابع التي يستقىٰ منها الادوار الجنسية في سنين الدراسة. إن الاقران يرسخون هذه الادوار في بعضهم البعض حتىٰ في حالة عدم توجيههم من قبل الأبوين في هذا المضمار.

١ ـ انفصال الجنسين.

٢ ـ الانحياز للجنس المماثل دون الجنس الآخر.

٣ ـ تباين التوقعات من الجنسين.

وسنوضح كل من هذه النقاط باختصار:

انفصال الجنسين:

يختلف الفتيان والفتيات الناشئة في نمط قضاء أوقات الفراغ. ففي مجال الرياضة تفضل الفتيات لعبة كرة المنضدة ويقضي معظم البنين أوقاتهم بالاشتراك في لعبة كرة القدم مع أترابهم.

الانحياز للجنس المماثل

وفيما يخص اداء الادوار الجنسية يحاول كل فريق من الجنسين حسب نظرية النمو الادراكي لكهلبرغ، تشجيع ابناء جنسه والإنحياز لهم في جميع الحالات. ونذكر هنا نتائج استطلاع (١٩٨٤) تم فيه مطالبة طلبة الصف العاشر بذكر عشرة من صفات ابناء جنسه المماثل وعشرة اخرىٰ يمتاز بها ابناء الجنس الآخر. لقد خصّ الاكثرية في إجاباتهم أبناء جنسه بالصُفات الحسنة ورشق الجنس الثاني بالصفات

الذميمة، ووصف الفتيان الفتيات بالانانية واعتبرت الفتيات الفتيان الجنس الأكثر أنانية.

تباين التوقعات

أثبتت أبحاث كونور[1] وسيربين[2] (١٩٧٨) ان صفات كالجرأة والشهامة يُنتظر ظهورها لدى البنين أكثر من البنات، في حين يُنتظر ظهور السلوك الرقيق الإنفعالي للبنات. وعلى الفتيات حسب الرأي السائد التصرف باسلوب والفتيان باسلوب آخر.

المدرسة

يقضي تلاميذ المرحلة الابتدائية معظم أوقاتهم المخصصة لنشاطاتهم اليومية المختلفة، في المدرسة ومع معلميهم، ولهذا تكون الفرصة مسنوحة للمعلمين ومسؤولي المدارس للاضطلاع بشكل أوسع بمسؤولية تعليم الأدوار الجنسية وترسيخها في الناشئة، وهذا مايؤكد أن من شأن النظام المدرسي المساهمة باساليب متنوعة في تنمية الادوار الجنسية لدى التلاميذ والطلبة.

١ ـ النظام المدرسي.
٢ ـ سلوك المعلمين.
٣ ـ الكتب والمناهج الدراسية.

---

1 _ Connor.

2 _ Serbin.

النظام المدرسي

تعتبر تركيبة طاقم التدريس في المدارس مؤشراً واضحاً للنظرة السائدة حول مكانة المرأة في نطاق مهنة التدريس. ان مسؤولية التدريس في المدارس الابتدائية تلقىٰ عادة على عاتق المعلمات. وفي المراحل التالية يتعهد المدرسون بتدريس الرياضيات والعلوم (سواء في المجتمعات الصناعية أو التقليدية) وتلقىٰ مهمة تدريس الآداب، الصحة واللغات الاجنبية على عاتق المدرسات، إلا أن عزل مدارس الفتيات عن مدارس الفتيان في المراحل المختلفة بعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران (عام ١٩٧٩) حدا بالمسؤولين لاعداد طاقم متخصص متمرن من كلا الجنسين لتدريس مختلف الدروس في شتىٰ مراحل الدراسة. وهذا ماتم إنجازه حتى الآن.

سلوك المعلمين

تؤكد الادلة المتوفرة لدينا أن البنين يتمتعون بعناية واهتمام في المدارس أكثر مما تتمتع به البنات وبعبارة اخرىٰ يتم تشجيع البنين لسلوكهم وإبداعاتهم أكثر من البنات. وتتعرض البنات للعتاب والعقاب إثر أي سلوكٍ فظ مذموم أكثر مما يتعرض له البنين مع أنهم أكثر فظاظة في التعامل من البنات.

لقد جاءت الأبحاث لتؤكد ان معاقبة الأطفال إثر قيامهم بتصرف سيء يرسخ فيهم طبيعة إساءة التصرف لأنها تمنحهم حسب وجهة نظرهم الاهتمام الذي يفتقدونه ويحاولون الحصول عليه وبالتالي

يمكن توقع السلوك السلبي في الأطفال الذين يتعرضون للتأنيب أكثر من غيرهم.

الكتب والمناهج الدراسية

أثبتت الأبحاث الجارية في العقود الأخيرة أن الكثير من الكتب والمناهج الدراسية في مراحل الدراسة المختلفة لم تمنح النساء والفتيات حقهن من الحضور علىٰ صفحاتها، ومع ان ٥٠٪ من عدد سكان البلدان يتكون تقريباً من النساء إلا أن أقل من ٣٠٪ من مواضيع الكتب والصور المطبوعة علىٰ صفحاتها تتعلق بهن.

والأمر لاينحصر بقلة المواضيع المتعلقة بالنساء والفتيات فقط بل إن أكثر هذه المواضيع والصور المطبوعة غير مستحسنة وغير نافعة وتشير الىٰ امتهان النساء أعمالاً بسيطة في مجالات غير مهنية والرجال في مجالات أكثر تخصصاً وفاعلية في الحياة.

التلفزيون

تشير الأبحاث (مت لنغ[1] وآخرون ١٩٨٧) الىٰ أن الاطفال دون سن الخامسة يقضون اسبوعياً (٢٥) ساعة من أوقاتهم في مشاهدة التلفزيون أي ما يقارب خمسة عشر ألف ساعة حتىٰ نهاية مرحلة الثانوية. وتلقن البرامج التلفزيونية حسب تحليلات

---

1 _ Matling.

سيربين[1] (١٩٧٤) الاطـفال والنـاشئة بـالادوار التـقليدية للـمرأة والرجل باساليب ثلاثة، هي:

١ ـ ظهور الرجال علىٰ شاشة التلفزيون أكثر من النساء وبمعدل ثلاثة رجال في مقابل امرأة واحدة.

٢ ـ امتهان النساء والرجال أعمالاً متمايزة، فاكثر المهن العلمية والصناعية والفنية تختص بالرجـال بـينما تـتعهد النســاء بـالاعمال المنزلية (التنظيف، الطهي وغسل الملابس). صحيح ان هذه الاعمال لها قيمة كبيرة ولكـن ليس مـن اللائـق تـحديد دور النســاء بـهذه النشاطات. والنساء يعبرن في البرامج التلفزيونية عن عدم ارتياحهن وعن مشاعرهن السلبية أكثر من الرجال. إن الرجال أصـلب عـوداً وأقوىٰ على مواجهة المشاكل، والنساء بحاجة الىٰ مساعدة الآخرين في مثل هذه الظروف (دونز[2] ١٩٨١).

٣ ـ السلوك الرجالي يحوز الاحترام والتـقدير والمكـافأة فـي البرامج التلفزيونية أكثر من السلوك النسائي. ويفوق نصيب الرجـال من المكافأة نصيب النساء منه بنسبة ٢٠٠٪ ويـتم تأنـيب الرجـال كذلك في هذه البرامج أكثر من النساء بنسبة ثلاثة أضـعاف (دونـز ١٩٨١). وبالتالي تهتم هذه البرامج بالرجال أكثر من النساء وتـعاني النساء من الإهـمال أكـثر مـن ذلك. إن اكـتساب الادوار الجـنسية

---

1 _ Serbin.

2 _ Downs.

التقليدية عن طريق البرامج التلفزيونية من قبل الاطفال يعني ان المجموعة التي تقضي ساعات أكثر من اوقاتها في مشاهدة التلفزيون تتعلم وتطبق الأدوار التقليدية أكثر من غيرها ولهذا نقدم وصايانا للأبوين للوقوف بوجه هذه الظاهرة بتعيين الساعات المناسبة لمشاهدة التلفزيون من قبل الأطفال وإرشادهم لانتقاء البرامج المفيدة لهم وتشجيعهم لمشاهدة البرامج التي تبين جدارة المرأة وقدرتها على القيام بالأعمال والنشاطات المختلفة.

الدورة الشهرية

تبدأ الدورة الشهرية لدى الفتيات عند بلوغهن سن الحادية عشر حتىٰ الرابعة عشر وتمتلك أكثر الفتيات معلومات حول هذا الحدث المهم في حياتهن الىٰ حد ما ويتم اكتساب هذه المعلومات عن طريق الأم أو الأخت الأكبر أو الصديقات. وتتأثر نظرة الفتيات لهذه الدورة الشهرية بمدىٰ استعدادهن لمواجهة التحولات الجسمية الناشئة عنها. وارتأت بعض الثقافات مراسيماً أو طقوساً خاصة بالبلوغ كاحتفال بداية التكليف الشرعي المرسوم في ايران، ويصحب هذا الحدث السرية والكتمان في بعض المجتمعات الاخرىٰ. وتشعر الفتيات إبان بدايتها بنضوجهن مما يبعث ترسيخ شعورهن بالاستقلالية وحدوث تطورات في ردود أفعالهن إزاء أبويهن.

الجوانب التكوينية في الدورة الشهرية

تظهر الجوانب الحياتية التكوينية للدورة الشهرية لدى الفتيات

نتيجة تظافر معقد بين مردودات المـؤثرات المـتنوعة، وهــي الغـدد (وأهمها المهاد والغدد النخامية) والهرمونات (وأهــمها الاسـتروجين والبروجسترون) وأعضاء الجهاز التناسلي (المبيضان).

الأعراض العضوية والنفسية للدورة الشهرية

من الأعـراض العـضوية التــي تـرافـق هـذه الدورة: النـزيف، انقباضات مؤلمة في العضلات والصداع. ومن الأعراض التي تسـبق بدايتها تحسس الثديين وانتفاخهما، ظهور البثور فـي الوجـه، حـدة المزاج والإنفعالية المفرطة. ان معظم هذه الأعراض التي تعتبر السبب في ظهور الكثير من الفروق الفردية الواضحة بين الأفراد، تنجم عن المؤثرات الهرمونية والثقافية ـ النفسية ويتم اللجوء الى العلاج النفسي، الدواء، استخدام التدفئة، الرياضة وتغيير النظام الغذائـي للـفتاة والىٰ الجراحة في حالات متأزمة بغية معالجة آثار الدورة الشـهرية. ولم تتضح الصلة بين الرغبات الجنسية والدورة الشهرية حتىٰ الآن ولكن السلوك الجنسي خلال هذه الدورة يصل الىٰ الحد الأدنى وفي نهايتها الىٰ ذروته.

السلوك ودورة العادة الشهرية

إنطلاقاً من تأثر الروح والجسم كل منهما بالآخر يمكننا القول ان الـدورة الشهرية والسلـوك النسائي عامـلان يتأثران بـبعضهمـا. ولهذا نتساءل:

١ ـ هل تؤدي العوامل النفسية الى ظهور اختلالات في الدورة الشهرية؟ .

٢ ـ هـل يـتأثر السـلوك بـظاهرة الدورة الشـهرية الجسـمية (الفيزيولوجية)؟.

من الواضح ان العوارض التي ترافق الدورة الشهرية يكون لها بواعث جسمية (فيزيولوجية). ان اضطرابات وآلام الدورة الشـهرية وهي إحدىٰ هذه العوارض تعود الى العامل النفسي كـالعزوف عـن الدور النسائي والنفور من الحياة. لقد توجه الباحثون منذ فترة لدراسة آثار الدورة الشهرية. وأكدت عدة أبحاث بدائية وجود عـلاقة بـين المرحلة التي تسبق بداية الدورة الشهرية وبـعض الطـباع السـلوكية الملحوظة بين الفتيات كالعنف، الاصطدام والمرونة. الا أنه لايـمكن الاكتفاء ببيانات هذه الدراسات المعدودة ولابد لنا من إجراء أبحاث أوسع في هذا المجال. والأهم من هذا هو نظرة الفتاة الىٰ هذه الدورة وخصائصها والتي عليها يترتب تحديد الرؤية الجنسية العامة لها في الحياة كأنثىٰ.

الحمل، الولادة، الامومة

لاتولي المرأة أي حدث في حياتها الأهمية التي تعيرها للحمل والولادة. فمنذ اطلاعها عٰلى حملها تطرأ تحولات عامة في حـياتها ويستمر تفكيرها بتغييرات جسمها والبرمجة لجنينها الذي تؤويه في رحمها، طوال تسعة أشهر. إذ تكـنّ المـجتمعات احـتراماً يسـتحق

التقدير لدور الامومة، ومع ذلك تهمل بعض المجتمعات مسألة العناية بالامهات وتعزف عن توفير احتياجاتهن والدعم الكافي لهن في فترة الحمل. وعلى أية حال تعتبر مراحل التناسل الثلاث وهي: الحمل، الولادة والامومة من أهم مسائل النساء في الحياة.

الحمل

تقع كافة أعضاء وجوارح المرأة في هذه الفترة تحت وطأة الحمل وإن كانت عوارضها غير خطيرة. ومن أكثر ردود الفعل الجسمية هذه شيوعاً: زيادة الوزن، تعاظم حجم البطن، إنتفاخ الثديين، التقيؤ، الشعور بالإرهاق وزيادة التبول.

وتختلف ردود فعل النساء عند مواجهة حدث معين وتتباين الانعكاسات النفسية التي تبديها النساء في فترة الحمل إلىٰ حد لايمكن تكهنه، ويعود ذلك الىٰ سلبية أو إيجابية الرؤية التي تعتمدها تبعاً لاختلاف الإجابات التي تواجه استفساراتها طوال تسعة أشهر، وتشمل هذه الانعكاسات والمشاعر الايجابية: الشعور بالهياج، الحيرة، الهدفية، التمتع بدعم الآخرين وإنبثاق الشعور الطيب بالامومة، اما سرعة الغضب ورقة العواطف، الاكتئاب، الاضطراب، سلبية النظرة عن النفس، الإهتمام المفرط بالمظهر، تغير المشاعر الجنسية واختلالات الشخصية فهي من الانعكاسات والمشاعر السلبية التي ترافق هذه الفترة. وبينما يعتبر سواد الناس هذه الظاهرة، ظاهرة جسمية، تختلف الرؤى التي تتبناها طبقات المجتمع المختلفة

تجـاه المرأة في فترة الحمـل، وتتلقن بها النسـاء سـيئـة كـانـت أم حسنة.

الولادة

الولادة مرحلة اخرىٰ من المراحل المـهمة فـي حـياة المـرأة، تكسب الام خلالها انطباعات مختلفة عن الآخرين. ان الولادة كتربية الاطفال مهمة شاقة ومسؤولية عظيمة ترافقها متاعب وهيجان وآلام شديدة، خاصة عند ولادة الطفل الأول. وبثقة عالية نستطيع القول أن المرأة تفقد في هذه المرحلة سيطرتها على جوارحها مما يـزيد مـن شعورها بالقلق. وتعد الولادة أعظم تجربة بـالنسبة لبـعض النسـاء، تجربة تكسبهن القدرة والشعور بالسرور لولادة الطفل.

والى جانب التقدم العلمي المدهش الذي شهده العالم في مجال الولادة خلال خمسين عاماً خـلـت والذي أدىٰ الى انـحصار مـعدل الوفيات من بين الأمهات والاطفال جراء الولادة، بذلت في المـجال الاسري مساع كثيرة في سياق تعليم الأسرة وخاصة الزوجة اسلوب توفير الجو الهادىء والاستقرار النفسي المناسبين في البيت وإعـداد خطط لتقديم الدعم العاطفي للام لتتم ولادة الطفل بسلامة وفي جو مليء بالسرور.

الامومة

تتداعىٰ للأذهان بمجرد سماع كلمة الام في جميع أنحاء العالم

عواطف ومشاعر جليلة ولطيفة تتضمن جميع الحسنات في طـياتها كالحنان والصبر والتضحية والإيثار.

النظرة التقليدية

الاومة في النظرة التقليدية موهبة أودعتها الطبيعة والغريزة في كيان المرأة. وهذه النظرة قائمة حتىٰ الآن في أكثر المجتمعات، خاصة الشرقية منها. وتتضمن هذه النظرة التصورات التالية:

١ ـ ترغب كل امرأة غريزياً بامتلاك الأطفال.

٢ ـ الأمومة أعظم إنجاز تتمكن المرأة من تحقيقه.

٣ ـ تتمتع النساء ممن حظين بشـرف الامـومة بـصحة نـفسية وشعور بالسعادة أكثر من غيرهن من النساء.

٤ ـ تشعر الأم غريزياً منذ الولادة أو منذ لحظة انـعقاد النـطفة بحب عظيم تجاه وليدها.

حقائق الامومة

يكتب هوفنونغ[1] (١٩٨٤): يمثل نيل المال، القـدرة والتـقدم أهم مآرب المجتمع الأميركي. وبما ان رعاية الطفل لاتمت بصلة الىٰ تحقيق هذه المآرب، نجد ان الام والامومة لاتتمتع ـ كما في أغـلب المجتمعات ـ بمكانتها اللائقة في مجتمعنا رغم تحملهن متاعب نفسية مختلفة جراء ولادة الأطفال. ومنها:

---

1 _ Hoffnung.

١ ـ وإن كان الآبـاء يـقدمون أحـياناً العـون للأمـهات إلاّ أن مسؤولية رعاية الطفل ملقاة بشكل عام علىٰ عاتق الأم.

٢ ـ بما أن رعاية الطفل من الأعمال المـرهقة التـي تسـتغرق طوال الليل والنهار، تفقد الأمهات القدرة علىٰ إنجاز أي عمل آخر إلىٰ جانب رعاية الطفل.

٣ ـ قلما تتلقى الامهات في عمر الشباب الدروس والتعليمات الضرورية التحضيرية بغية إعـدادهـن لايـفاء دور الامـومة وإنـجاز وظائفهن وواجباتهن. وهذا مايؤدي بهن بـالتالي الىٰ الشـعور بـعدم القدرة علىٰ تحمل هذه المسؤولية.

٤ ـ القيام بوظائف الامومة عمل ينجز في البيت ولهـذا تـبقى المرأة طوال النهار في عزلة عن الآخرين مـما يـحرمها مـن الدعـم العاطفي الكافي.

على أية حال لايخفىٰ أن الامومة تجربة ملذة إلا أنها مع ما لها من فوائد ورغم إتاحتها الفرصة للمرأة لمتابعة نـمو طـفلها وتـبادل المشاعر الطيبة معه واكتساب التجارب المفيدة خلال مئات الأحداث الاخرىٰ التي تصحب تربية الأطفال في كثير من المجتمعات الشرقية إلّا انه يجب علينا ان نـعترف أن الامـومة تـقيد المـرأة بكـثير مـن الإلتزامات والظروف.

الرضاعة

طرأت خلال العقدين المنصرمين تحولات ملحوظة علىٰ نظرة

الامهات الى مسألة رضاعة أطـفالهن حـديثي الولادة. وفـي العـقد الاخير تجاوز عدد الاطفال الذين يرضعون حليب امهاتهم في اميركا ضعف ماكان عليه سابقاً.

ويحدث خلال الرضاعة تناسق بين عملية مص الثدي من قبل الطفل وترشح الهرمونات من قبل غدد الام. والأهم من هذا هو مـا ينتاب كل منهما من مشاعر نفسية طيبة خلال عـملية الرضـاعة. إذ تؤكد أكثر الامهات اللواتي يرضعن أطفالهن ان رضاعة الطفل عمل ملذ يمنحن الشعور بالدفء والسرور والارتياح.

المرأة في متوسط العمر

سنبحث في هذا الفصل معدلات المقاومة الجنسية فـي المـرأة والرجل في متوسط العمر كالمناعة الصحية، سلامة النفسية، فـاعلية القوىٰ الإدراكية، الشخصية، الاطر والانماط الاجـتماعية والسـلوك المنبثق من الادوار الاجتماعية.

أ) طول العمر، الصحة والوفاة:

يبدو أن النساء يتمتعن بحيوية أكثر وطول عمر أكبر مما يتاح للرجل التمتع به (احصائية اميركية أجـريت عـام ١٩٨٧ واولسـون وسيغر). وتزداد هوة هذا الاختلاف إتساعاً وعمقاً يوماً بعد يوم بسبب زيـادة الاهـتمام بـتوفير العـناية الصـحية وكـذلك تـغير الأدوار الاجتماعيـة.

وتتمتع النساء بقوة تكسبهن القابلية والمهارة لتحمل المصاعب، الأمراض والمصائب المختلفة، أكثر من الرجال والكثير من الكائنات الأخرىٰ. لقد تم دراسة متوسط الأمل في الحياة لدى الرجال والنساء في ثلاث من مراحل العمر (الصبا، في الخمسين عاماً وفي الخامسة والستين من العمر) خلال مسح أجري في اميركا خلال عقدين من الزمن (١٩٦٣ـ١٩٨٣). لقد أثبت هذا المسح أرجحية كفة النساء في ميزان معطياته. إذ تتوقع الصبيات لانفسهن، طول عمر يتجاوز مايتوقعه أترابهن من الصبيان بسبعة سنوات. ومتوسط الامل في الحياة لدى النساء في الخمسين من العمر يزيد عن متوسطه لدى الرجال في هذا العمر خمسة أو ستة أعوام و ٤,٢ سنوات في الخامسة والستين من العمر، ولكن هذا مالا يتناسب مع معدل الوفيات لدى كلا الجنسين فنسبة إصابة النساء بالامراض العامة والامراض المزمنة هي أكبر من نسبة إصابة الرجال بها. إن أمراض الدوالي، أمراض المجاري البولية، الصداع النصفي، تشوه المفاصل، إرتفاع ضغط الدم، إرتفاع نسبة السكر في الدم، التهاب القصبات المزمن، الأمراض القلبية، البواسير، الحساسية، سوفان المفاصل وتشوه إجزاء من الهيكل العظمي أكثر شيوعاً لدى النساء خلافاً للاختلالات البصرية والسمعية إذ يعاني منها الرجال أكثر من النساء.

(انظر الجدول)

الجدول رقم (١)

نوع المرض	عدد النساء المصابات به بين كل الف شخص	عدد الرجال المصابين به بين كل ألف شخص
الدوالي	٤٦/٨	١١/٦
امراض الجهاز البولي	٤٦/١	١٤/٤
الصداع النصفي	٤٦/٥	١٥/٨
تشوه المفاصل	١٦٥/٣	٩٤/٩
ارتفاع ضغط الدم	١٣٧/٤	١٠٤/١
ارتفاع نسبة السكر في الدم	٢٧/٥	٢١/٣
التهاب القصبات المزمن	١٤٨/٤	١١٩/٠
الأمراض القلبية	٨٦/٠	٧٩/٣
البواسير	٤٩/١	٤٦/١
الحساسية	٨٨/٦	٨٣/٧
سوفان المفاصل وتشوه العظام	٩٩/٢	٩٣/٨
الاختلالات البصرية	٢٨/٢	٤٢/٧
الاختلالات السمعية	٧٤/٥	١٠٧/٥

المصدر: دائرة الإحصاء العام في اميركا، عام ١٩٨٧.

إن الادلة المتوفرة حول سبب الوفيات في العالم تثبت وجـود

الفوارق بين النساء والرجال في هذا المجال أيضاً. وتحتل الأمراض القلبية درجة الصدارة بين هذه الأسباب، إذ تتعرض النساء في الوقت الحاضر الىٰ الوفاة إثر الاصابة بالامراض والحالات القلبية وامراض العروق أكثر من ذي قبل، ويواجه الجنسان معاً خطر الإصابة بمختلف أنواع مرض السرطان، الاضطرابات والآلام القلبية والموت إثرها بنسبة تفوق ما مضىٰ، مما يؤكد لنا أن اسباب تسجيل مثل هذه المعدلات في الفوارق الجنسية معقدة جداً ولابد من تركيز المساعي المبذولة بهدف زيادة متوسط الأمل في الحياة لدى الجنسين، حول معرفة المؤثرات الحياتية ـ الوراثية (الجينية)، والطرق والاساليب المتبعة في الحياة والتي تساهم في ازدياد عمر الانسان.

يشير فيربروغ[1] (١٩٨٨) في «حياة النساء» إلىٰ خمسة أسباب تؤدي الى إرتفاع معدل الوفيات لدى النساء أكثر من الرجال. وهي: إنعدام المرونة والتكيف الجسمي إثر قلة ممارسة النشاطات الرياضية، شحة الطاقة العملية، تحمل الشدائد العاطفية والنفسية أكثر من الرجال، الشعور بالمناعة لدى مواجهة الأمراض، وقلة النشاطات البدنية الشاقة المنجزة خلال الاسبوع. وترتفع نسبة الرجال عن النساء في معدل الوفيات الناجمة عن التدخين وإثر التعرض للأخطار المهنية.

ويعتقد فيربروغ أن التركيبة النفسية للمرأة والرجل سوف تكون

1 _ Verberugge

أكثر تشابهاً لو تقاربت خصائص الرؤى الاجتماعية لكل من الجنسين. ومع ذلك فإنه مازال طول عمر الرجال أقصر مما هو عليه في النساء.

ب) الصحة النفسية

تتدارس الأبحاث بشكل مستمر العلاقة بن نوع الجنس وسلامة الصحة النفسية والتحولات الطارئة في أواخر الحياة. ومع ان نسبة إصابة النساء بالامراض النفسية الطفيفة كالامراض العصبية والنفسية الوظيفية، أكبر من نسبتها في الرجال الذين ترتفع نسبة إصابتهم باختلالات سوء التكيف الاجتماعي. والإدمان على الكحول والمخدرات يكون كذلك أكثر شيوعاً بين الرجال. وتستبعد بيانات خمسة عشر مصحاً من كبريات المصحات النفسية في أميركا وجود أي ارتباط ثابت بين الفوارق الجنسية والاضطرابات النفسية (كلير[1] ١٩٨٧). إذ تثبت الأبحاث ان نسبة إصابات الرجال في عمر الشباب بالكآبة وكذلك شدة إصابتهم بها هي أكبر منها في الجنسين بعد تقدم العمر بهما. وبهذا يمكننا إستنتاج هذا الحكم وهو أن الفوارق الجنسية من حيث التمتع بالصحة النفسية تكون واضحة في مرحلة الشباب أكثر منها في المراحل المتقدمة من العمر.

---

1 _ Clear

ج) فاعلية القوى الإدراكية

ان فاعلية القـوىٰ الإدراكـية المـطروحة لدى تـعيين الفـوارق الجنسية تعني الحذاقة والذكاء العام وعناصره وكذلك القـدرة عـلىٰ تحليل المعلومات على مدىٰ الزمان. ولم تتوفر حتىٰ الآن أيـة أدلة تشير الىٰ وجود فوارق تنظيمية جلية في مستوى الذكاء العـام لدى النساء والرجال ويـقتصر الاخـتلاف بـينهما عـلى حـصيلة هـاتين الفاعليتين لديهما طبقاً للمقاييس المتوازنـة السـوية. ومـن أوضـح الفوارق الموجودة من حيث الفاعلية الأفضل للرجال تم تسجيله في مجال القدرات الفضائية ويعود ذلك الى اسس حياتية وراثية (جينية)، وتتقلص مهارات الرجال في سرعة تـحليل المـعلومات والمـهارات النسائية في اسـتخدام الدقـة كـلما تـقدم العـمر بـهما (ويـليس[1] وشاير[2] ١٩٨٨). وتحوز الفتيات والنساء كذلك تفوقاً باهراً عـلى الرجال في اختبارات المهارات الكلامية بينما يحظىٰ الرجـال بـمثله في اختبارات الرياضيات. ويمكن حصر الهوة بين الجنسين من حيث القدرات الفضائية والرياضية بتنمية هذه المهارات لدى الإناث أيضاً. لقد أشارت معطيات الأبحاث إلىٰ تكيف القوىٰ الإدراكية مع العوامل المؤثرة في اضمحلالها أو تعزيزها.

1_ Willis

2_ Schare

د) الشخصية

ان اختلاف الادوار الجنسية ونوع الجنس البشري يجعل من تعريف الشخصية أمراً معقداً إذ لم تنجح أكثر الاختبارات حتىٰ الآن في إثبات وجود فوارق جنسية في شخصية الإنسان مهما تنوعت اساليب هذه الإختبارات. ويبلغ اختلاف الإناث والذكور ذروته عند الناشئة وفي مرحلة الشباب بينما يكون التشابه كبير بين الجنسين في متوسط العمر (غوتمان[١] وآخرون). ويعتقد كثير من الأخصائيين وعلماء النفس ان الفوارق الجنسية تختفي في المراحل المتقدمة من العمر (ساينوت[٢] ١٩٨٦).

الأطر الاجتماعية

تعكس الاطر والأنماط الاجتماعية شكل المفاهيم السائدة حول الانوثة والذكورة في المجتمع، إذ نرىٰ ان المرأة في هذه الأطر هي الكائن الأضعف والأقل حيوية وتمتاز عن الرجل بمعنوياتها العاطفية السامية، وإن الرجل هو الكائن الأقوىٰ والأكثر حيوية ونشاطاً واستقلالية وفظاظة والأقدر علىٰ إحراز النجاح. وتؤكد بعض الثقافات ان الإنسان في متوسط عمره يفقد مميزاته الجنسية ويعود الىٰ ماكان عليه في مرحلة الصبا من تشابه مع الجنس الآخر.

---

1 _ Gutman

2 _ Sinnott

السلوك والأدوار الجنسية

تختلف الأدوار الجنسية والمكانة الاجتماعية التي يمتاز بها الإنسان بجنسيه في الثقافات المختلفة. وتتعهد النساء في مرحلة الشباب بمسؤولية رعاية الأطفال والعناية بهم وفي متوسط العمر بتوفير الهدوء في الجو العائلي وزيادة فاعلية الاسرة، كما تلقىٰ مسؤولية توفير مستلزمات المعيشة على الرجل. ويلعب الفقر في كافة المجتمعات دوراً في تباين مستوىٰ مايحظىٰ به الجنسان من الخدمات التعليمية، فرص العمل وحتىٰ المكانة الاجتماعية.

الحكم: لقد تم إهمال القضايا المتعلقة بصحة النساء والفوارق الجنسية في التحقيقات الجارية حول الصحة النفسية حتىٰ أوائل الثمانينات من القرن الماضي (ماثيوس[1] ١٩٨٩) بينما أجريت منذ ذلك الحين وحتىٰ الآن، دراسات خاصة واسعة النطاق حول النساء، مثل الابحاث المختصة بدراسة مضايقات الدورة الشهرية وردود الفعل المتجلية إزاء سرطان الثدي واختلاف مميزات شخصية الجنسين ومنها ردود الفعل (الارتكاسات) عند مواجهة الضغوط النفسية، النماذج السلوكية في النمط (أ) والنمط (ب) من الشخصية، خطر مرض الإيدز، الامراض القلبية، تنظيم الوزن، التدخين والادمان على الكحول. إن الدراسات المتعلقة بالجنسية تشكل اليوم دون أدنىٰ ريب أهم أبحاث الصحة النفسية وستكون كذلك في المستقبل أيضاً.

* * *

1 _ Mathews

الفصل الثالث

مصادر معرفة المرأة

يتبلور السلوك الإنساني منذ انعقاد النطفة ليأخذ سبيله نحو التكامل في المجالات الاجتماعية والثقافية بغية الوصول الى الهدفية والبرمجة طبقاً للمعايير النظرية. ومعرفة المرأة أمرٌ لم يتخذ مجراه العلمي مثلما يتم تصوره، إذ أن أكثر المنظّرين والباحثين رجال ممن يتبنون بطبيعة الحال فرضيات أساسية، متأطرة ومعينة حول النساء والرجال.وهذا ما يؤدي الى ترسيخ أساس الدراسات النسائية على قاعدة اعتبار الدور الرجالي، المعيار والمقياس في اختبار إنسانية الفرد.

وبغية فهم النساء ومعرفتهن لابد من إيلاء الاهتمام الوافي بالمؤثرات المتداخلة المتعلقة في تعيين السلوك النسائي. وهي: المؤثرات الحياتية التكوينية، الأدوار الاجتماعية، فرص الحياة والشخصية. وسنشرح كل منها باختصار:

المؤثرات الحياتية

يحكم العقل بوجود صلة وثيقة بين الدوافع الشخصية والسلوك

الانسائي من جهة والأوضاع والظروف البدنية من جـهة أخـرى ان محاولات المنظرين الرامية لتعريف المرأة انطلاقاً من وضعها الجسمي ومتابعة الباحثين لمدى تأثر السلوك بهذا الوضع، كلها تـؤكد صـحة الفرضية الأساسية التي تنص على وجود صلة وثيقة وغير متسقة بين العوامل الحياتية المؤثرة في المرأة وسلوكها. فنحن عندما نتطرق الى الحديث عن أهمية ودور العوامل الحياتية فـي سـيكولوجية المـرأة نحاول في الحقيقة التحري عن مواهبها ومهاراتـها فـي اطـار بـذل العطاء. ولهذا يسعى أكثر الباحثين في الوقت الحاضر الى دراسة مدى امكانية توجيه المرأة للاستفادة من قـواهـا البـدنية فـي المـجالات الاجتماعية المختلفة.

ان العوامل الحياتية والحال الاجتماعي ـ الاقتصادي في الحياة هي التي تحدد الأدوار الاجتماعية لكل من المرأة والرجل، إن أكـثر النظم الاجتماعية تقوم بتنظيم وتقسيم الفـرص والمسـؤوليات بـين الجنسين وفق هذه العوامل.

وتتحمل غالبية النساء في أكثر المـجتمعات مسـؤولية رعـاية الزوج، العناية بالأطفال وتربيتهم، وادارة شؤون المنزل، بينما يـتعهد الرجال بتأمين متطلبات المعيشة للأسرة. يـبدو أن هـذا التـوزيع لا يسبب في ظهور مشاكل تذكر للنساء ولكن الواقع المفروض اتخاذه بنظر الاعتبار هو تحول العالم نحو المجتمع الصناعي وزيادة فـرص العمل المتوفرة للمرأة في خضم ذلك. تشكل النساء نصف المـجتمع ومن شأنهن اداء دور كبير في تنمية وتقدم مجتمعهن بما يتمتعن به من

مميزات فاعلة مطلوبة لليد العـاملة.وبـهذا تسـتطيع المـرأة الجـادة، المستقلة، ذات الشخصية السوية ـالى جانب السير قدماً نحو تطورها ورقيهاـ تقديم المعونة لزوجها وأبنائها في عملية بناء المجتمع.

فرص الحياة

يقوم كل مجتمع بتعريف خواص، كالجنس، العـنصر، ضـخامة الجسم، العاهات وغيرها طبق المعايير الاجتماعية التي يعترف بـها. وبناء على هذا يمنح أفراده فرصاً متنوعة تتلاءم مع شخصيتهم يطلق عليها فرص الحياة. وكان نوع الجنس في الماضي هو العامل الوحيد الذي يحدد فرص الحياة بالنسبة للنساء. إلا أن تغيرات الرؤية العامة حول أهمية الجنس النسائي أدت إلى انضمام عوامل اخرى كالجدارة ومواهب النساء وكذلك نظرة الثقافة والمجتمع إلى المرأة، إلى قـائمة العوامل التي تؤثر على تعيين فرص الحياة المتاحة لها.

الشخصية

لقد تم تعريف اصطلاح الشخصية في العهود الغـابرة بـأشكال متباينة وأكثرها صحة من وجهة نـظر عـلماء النـفس، هـو تـعريف أولپورت[1] الذي ينص على: أن الشخصية تنظيم ديناميي في داخـل الفرد لتلك المنظومات السيكولوجية التي تحدد سلوكه المميز وفكره

---

1 ـ Allport.

المتميز .

وهنا لابدّ من تبسيط مفهوم الكلمات الأساسية التي تؤلف هذا التعريف خاصة ما يتعلق منها بسيكولوجية المرأة. يقصد أولپورت بالتنظيم الدينامي ان الشخصية الإنسانية تنظيم متنام ومتغير من العادات والمواقف والعناصر المرتبطة مع بعضها البعض.

ان تكون بناء الشخصية من النواحي الجسمية والنفسية إنما يدل على وحدة وانسجام أجزاء وعناصر هذا البناء رغم تنوعها ويفسر كذلك أسباب تمايز نماذج الشخصية في الأشخاص.

وبعبارة مختصرة نقول ان كل فرد ومع تشابهه في بعض الحالات مع الآخرين إلّا أن ذاته تختلف تماماً عنهم. ويؤكد علم نفس المرأة على ضرورة فهم العوامل والمؤثرات الحياتية (التكوينية)، الاجتماعية، فرص العمل، والشخصية، وأخذها بالحسبان عند توصيف المرأة. فالأنثى منذ ولادتها تمتاز بجسم متمايز عن جسم المذكر رغم تشابهه معه. وتمر في فترات حياتها بشدائد اجتماعية ومتاعب أسرية كغيرها من أبناء المجتمع وتشارك أبناء طبقتها الاجتماعية، الثقافية، والاقتصادية -ممن تتلاقى خصائصهم ومهاراتهم معها- فرص الحياة فتتبلور وتنمو وتتكامل في غضون ذلك شخصيتها الفريدة.

بعد دراسة المؤثرات الأربعة التي تشكل مقومات السلوك الإنساني في هذا الفصل تبين لنا انه لا يوجد أي مصدر أو دليل يثبت مدى تأثر سلوك المرأة بكل منها حيث يتشابه الأشخاص في كثير من

الخصائص بينما تنعدم أوجه التشابه بينهم في حالات أخرى (كلوكوهن[1] وموراي[2] ١٩٦٩). وتشكل المؤثرات السلوكية الاربعة وهي المؤثرات الحياتية، المؤثرات الاجتماعية، فرص العمل والشخصية، المثيرات التي تحدد أوجه التشابه والتباين بينهما.

الرؤى العلمية حول المرأة

أجرى الباحثون النفسانيون في أكثر ميادين البحث النفسي دراساتهم حول السلوك البشري والحيواني بعيداً عن التطرف لنظرية خاصة. ولكن هذا لم يمنع شيوع نظريات في غاية الأهمية حول مسألة الجنسية وخصائصها لدى الأطفال. ومن أقدم هذه النظريات نظرية التحليل النفسي التي نشأت نتيجة أبحاث الفحص السريري الموضوعي وتليها نظريتان تسميان «الاكتساب الاجتماعي» و«النمو الإدراكي» اللتان ظهرتا في الستينات.

نظرية التحليل النفسي

ان نظرية التحليل النفسي هي النظرية المعتمدة في معالجة الاضطرابات النفسية وتؤكد هذه النظرية على جهل الإنسان لحقيقة بعض مشاعره وأحاسيسه. وقد نظّر لها عالم النفس النمساوي سيغموند فرويد (١٨٦٥ ـ ١٩٣٩). وبما أن نظرة المعالج للمرأة

---

1 _ Klokhohn.

2 _ Murray.

حسب هذه النظرية سلبية فإنها تترك آثاراً سيئة ووخيمة على معالجة النساء.

كان فرويد يعتقد أن للجنسية دور متناهي الأهمية في تـعيين سلوك الإنسان. إنه يؤكد على تشابه الأطفال من البنين والبنات في السنتين الأولى من العمر إلّا أنهم يـتكلمون بشكـل مـتباين خـلال مراحل التكامل النفسي الجـنسي (التـي يـقسمها فـرويد الى فـمية، شرجية، قضيبية أو مهبلية، مرحلة الكمون وأخيراً البلوغ). إذ تشـعر الفتاة بالغبطة والسرور بعد المرحلة المهبلية لأنها لم تخلق ذكراً.

ومعتقدات فرويد حول التكامل الجنسي في الطفل كانت معقدة وتتلخص في عبارة «اخـتلاف المـظاهر التشـريحية تـقرر المـصير الحتمي». لأنه لم يؤمن بتأثير العـوامـل الخـارجـية ولهـذا جـاءت تصوراته قائمة على أساس انعدام الصلة بين أفكار الطفل مـن جـهة ودور الأبوين، البيئة، المدرسة و.. من جهة أخرى. ان وضعه الحياتي (التكويني) هو الذي يحدد نمط هذه الأفكار.

نظرية الاكتساب الاجتماعي

هنالك حسب نظرية الاكتساب الاجتماعي أمران يعتبران مـن مقومات تعلم واكتساب الفتى أو الفتاة للسلوك المناسب لكل منهما.

١ ـ اتباع أسلوبي التشجيع والتأنيب أو العقاب معهم مما يؤدي الى ترسيخ سلوك معين لديهم.

٢ ـ مشاهدة سلوك الآخرين وتقليده. ان الأطفال في الحـقيقة

يكتسبون القدرة على معرفة الهيئة الجنسية العامة عن طريق التقليد كسائر التصرفات الأخرى.

ترى هذه النظرية ان الفتيان والفتيات سرعان ما يدركون أنـهم يتلقون المكافآت عند تمسكهم بالسلوك اللائق بأبناء جنسهم المماثل وان السلوك المغاير لذلك يعرضهم لتأنيب الأبوين والمحيطين بـهم. وهذا ما يدعوهم لتقليد السلوك النسائي أو الرجالي حسب ما يتلاءم مع جنسهم. ترى نظرية الاكتساب الاجتماعي أن الأطفال في غـنى عن اجتياز مرحلة المحاولة والخطأ على سبيل تعلم بـعض الأمـور حيث يمكن تعلمها عن طريق المشاهدة وتقليد أبناء جنسه. ان البنات على سبيل المثال يحاولن التأسي بأمهاتهن أكثر من آبائهن.

ان هذه النظرية لا تحظى ـمع الأسف ـ بقبول ودعم كثير مـن الباحثين ويعتقد كل من موكوبي[1] وجاكلين[2] (١٩٧٤) ان احتمال تماثل الجنسين من حيث الرغبة الاجتماعية يكون محتفظاً بمكانته حتى في حالة مكافأة أو تأنيب الطفل من قبل أبويه.

وتستند نظرية الاكتساب الاجتماعي على تأثير العوامل البيئية ودور الراشدين في التعلم. وتقديم صورة واضحة عن الأدوار الجنسية لكل من الذكر والأنثى والمؤثرات التي تتدخل في تكونها أمر صعب بعيـد عن سـاحة الواقــع. إن رغـبـة الآبــاء فــي التـزام بـناتهـم بالسلـوك الأنثوي وبنيهم بالسلوك الذكري تكون أعـمق مـن رغـبة

---

1 _ Moccoby.

2 _ Jucklin.

الأمهات فـي ذلك.

نظرية النمو الإدراكي

يتم اكتساب الأدوار الجنسية من قـبل الأطـفال حسب هـذه النظرية عن طريق الراشدين. كما تـرى مـجموعة مـن أنـصار هـذه النظرية أن الأطفال هم الأساس في اكتساب القدرة على تحديد نمط شخصية جنسه المماثل استناداً الى عملية التفكير والاستنتاج.

يعتقد جان پياجه السـويسري مـنظّر نـظرية النـمو الإدراكـي المتزايدة التعقيد، ان الأطفال يجتازون مراحلَ ثـابتة فـي مسـيرتهم التكاملية منذ الصغر وحتى الشيخوخة ويختلف طريقة الأطفال فـي التفكير عمن يكبرهم، إذ تكون آراءهم أكثر تأثراً بالمظاهر الفيزيائية عمن يكبرهم.

ويؤيد لورنس كهلبرغ امكانية تعريف وتـبسيط مسـألة تـعلم الأدوار الجنسية في إطار هذه النظرية الشاملة. والأطـفال يـتعلمون مفهوم الأدوار الجنسية بـنفس أسـلوب تـعلمهم ودركـهم لمـفاهيم كالكمية والأخلاق.

إن أول وأهم خطوة يتخذها الطفل نحو استيعاب الهيئة الجنسية العامة حسب اعتقاد كهلبرغ هو معرفة كيانه الجنسي أي ان يـتحدد للفتاة أنها فتاة وللفتى أنه فتى. ويتمكن أكثر الأطفال من معرفة هذه الشخصية أو الكيان الجنسي بشكل دقيق فـي عـمر يـناهز الثـلاثة سنوات، ومن التمييز بين جميع الذكور والإناث في الرابعة من العمر.

وبعد اطلاع الطفل على الجنس الذي ينتمي إليه تبدأ تدريجياً مرحلة كشف ارجحيات تنظيمه الجنسي وتنقاد الفتاة بعد تمييز أنوثتها نحو الأشياء والنشاطات النسائية لانسجامها مع شخصيتها وكيانها الأنثوي.

ويسيطر نمط من الحتمية والقسرية بشكل معقد على نظرية النمو الإدراكي فالفتاة حسب هذه النظرية تكتسب أولاً كياناً جنسياً راسخاً ثم تكشف عن تفوقها في النشاطات الأنثوية، أي أنه لابدّ لها من معرفة كونها فتاة أولاً لتظهر لديها بعد ذلك حالة الانحياز الى الدمية دون السيارة. وبما أن الطفل لا يستطيع تمييز الكيان الجنسي حتى الثالثة من العمر فإنه من غير الممكن حسب هذه النظرية أن يبدي سلوكاً في دائرة الأنماط أو الأطر الجنسية حتى هذا العمر. بينما نلاحظ جميعاً مثل هذا السلوك لدى الأطفال دون الثالثة من العمر.

لقد حاول جمع من علماء النفس وعلماء الاجتماع ايجاد نظريات حديثة حول تبلور القدرة على معرفة الهيئة الجنسية العامة، تتبنى بشكل عام كلا النظريتين (الاكتساب الاجتماعي والنمو الإدراكي)، (كاهيل[1] ١٩٨٣، ماركوس[2] وآخرون ١٩٨٢). وسنتطرق هنا باختصار الى احدى هذه النظريات:

---

1 _ Cahill.

2 _ Markus.

نظرية التخطيط الجنسي

يتخذ الأطفال حسب رأي ساندرا بم[١] في هذه النظرية، الجنسية أساساً للتخطيط في سياق معرفة هيكلية الحقيقة ودركها وتوجيهها. أي ان الأطفال يرغبون في تنظيم أفكارهم وتنسيق معلوماتهم عن أنفسهم والعالم المحيط بهم وفقاً للتعاريف المطروحة حول الرجولة والأنوثة في المجتمع. إن الجنسية مظهر عجيب من مظاهر الإنسانية فكل إنسان وبمجرد مشاهدة شخص آخر يندفع الى وضعه في قائمة أبناء جنسه المماثل أو الجنس الآخر. فنوع الجنس يبلغ من الأهمية ما يدعو الإنسان فور ولادة الطفل الى الاستفسار عن كونه ولداً أم بنت.

وتتضمن هذه النظرية كلا النظريتين: الاكتساب الاجتماعي والنمو الإدراكي. ووجه تشابهها مع نظرية النمو الإدراكي هو من زاوية أنها ترى أن الإدراك ونموه كفيلان بالتعرف على الهيئة الجنسية العامة. وبما أنها ترى أن معرفة الهيئة الجنسية العامة أمر اكتسابي فانها تعترف ضمنياً بنظرية الاكتساب الاجتماعي فالمجتمع يلقّن الأطفال ما تتضمنه وتعنيه الرجولة والأنوثة.

ويتعلم الأطفال في ظل الثقافة السائدة في مجتمعاتهم أن يختاروا ما يتناسب مع أبناء جنسهم وبالتالي تتكون لديهم تصورات خاصة عن أنفسهم طبقاً لما تعلموه حول الهيئة الجنسية العامة.

---

1 _ Sandra Bem.

ويفهمون أن اختلاف الجنسين لايتعين بالحدود والدرجات بل يتضمن التباين في النوع أيضاً، فالرجال مثلاً أقوياء والنساء رؤوفات. ويتعين الجنس الأكثر احرازاً للاهتمام في نظرية «بم» حسب نوع الثقافة السائدة في المجتمع.

إن آراء هذه النظريات الثلاث: التحليل النفسي، نظرية الاكتساب الاجتماعي ونظرية التخطيط الجنسي، حول معرفة الهيئة الجنسية العامة ملفتة للنظر إلا أنها جميعاً عزفت عن اقتراح طرق أو أساليب تغيير الوضع الفعلي. فساندرا بم (١٩٨٣) ضمنت اقتراحاتها حول الطرق والأساليب التربوية الصحيحة لتنشئة الأطفال، بوصايا أكدت فيها أن على الأبوين منع أبنائهم من تجربة طريقة التخطيط الجنسي لتتكون لديهم مناعة تكسبهم القدرة على نبذ ما لا يصلح من الدروس التي يمكن اكتسابها من المجتمع.

وتشمل هذه الوصايا:

١ ـ عدم تقيد الأبوين بالسلوك الجنسي العام كي لا تنقسم النشاطات الأسرية الى نسائية أو رجالية بحتة. أي ان يتصدى كل من الأب والأم لمهمة استحمام الأطفال ورعايتهم وان توضع الدمية ولعبة السيارة معاً تحت تصرف الطفل وليمنح الفرصة لمتابعة عمل كل من الأم والأب خارج المنزل.

٢ ـ انتقاء الكتب والبْرامج التلفزيونية التي لا تتحدد شخصياتها ومحتوياتها بالأطر الجنسية التقليدية.

٣ ـ استناد الأبوين على أهم الخصائص الأساسية في اختلاف المرأة والرجل وهي اختلاف البنية التشريحية والجـهاز التـناسلي أو الاسس الوراثية والجينية والتحرز من التأكيد على عـوامـل ثـانوية كالمهن التقليدية والنشاطات الخاصة بكل من الجنسين.

* * *

الفصل الرابع

المرأة في منظار الاسلام

يصرح القرآن الكريم في محكم آياته ان الأرض والسماء، والغمام والرياح، النباتات والحيوانات، كلها خلقت من أجل خدمة الإنسان، إلا أنه لم يذكر ان الله سبحانه وتعالى خلق المرأة من أجل الرجل. فالآية ﴿يا أيّها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساء...﴾[1] تؤكد ان الرجل والمرأة متساويان في أصل نظام الخلقة الذي لم يرجح أحدهما على الآخر بل تؤكد أن الله قد خلق المرأة والرجل من نفس واحدة.

والآية : ﴿ يا أيّها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم. ان الله عليم خبير﴾[2] تؤكد المساواة بين الرجل والمرأة وتضع التقوى ـ وليس نوع

---

١ ـ الآية ١، سورة النساء.

٢ ـ الآية ١٣، سورة الحجرات.

الجنس ـ ميزاناً بينهما.

إن الإسلام وخلافاً للثقافات الغربية منح الرجل والمرأة حقوقهما الطبيعية بشكل كامل ولم يعطهما حقوقاً متساوية. فهو بتعبير آخر لم ينحاز الى أحدهما بل وضع كل منهما في مكانته الطبيعية اللائقة به. والطبيعة وفقاً للقوانين الإسلامية لم تجعل المرأة أحط شأناً من الرجل كما أنها لم تساوها معه بل خلق كل منهما ليتمم دور الآخر في الحياة والمجتمع.

مكانة المرأة في القرآن

يؤكد القرآن الكريم مسألة التساوي بين المرأة والرجل في تعاليمه الخالدة ضمن أربعة أطر، هي:

١ ـ التساوي في أصل الخلقة.

٢ ـ تساوي المواهب في النظام التقييمي.

٣ ـ التساوي في القدرة على التكامل والرقي.

٤ ـ التساوي في الحقوق الإنسانية.

١ ـ التساوي في أصل الخلقة

عندما يتطرق القرآن الى موضوع خلق الإنسان الذي يمر بمراحل الجماد، النبات والحيوان، تقول الآية **﴿ثم خلقنا النطفة علقة. فخلقنا العلقة مضغة. فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم**

أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخـالقين﴾[1]، أي أن كـل مـن الرجل والمرأة خلق إنساناً بالقوة ولم يميز الله سبحانه وتعالى بينهما عند خلقهما. وتسرد الآية ﴿وبدأ خلق الإنسان من طين. ثـم جـعل نسله من سلالة من ماء مهين. ثم سواه ونفخ فيه من روحـه﴾[2]، قصة خلق الإنسان ابتداء بمرحلة خلقه من الطين ومروراً بـمرحـلة تسويته وأخيراً نفخ الروح فيه أي انتسابه الى حقيقة ومنبع الوجـود. ولم تخص هذه الآية المرأة أوالرجل بالذكر.

إذن التساوي في أصل الخلقة (من الحقيقة المطلقة) يدل على تماثل الجنسين في هذا المضمار.

٢ ـ التساوي في النظام التقييمي

أ) إن الآية: ﴿وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون﴾[3] تؤكد ان الهدف النهائي من خلق المرأة والرجل متوحد وهـو عـبادة اللـه أي بتعبير آخر نيل الكمال الإنساني.

ب) والآية: ﴿والليل إذا يغشى... إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى﴾[4] تكرر وحدة الغاية من خلق المرأة والرجل وهو نيل الهداية وطي سلم الكمال.

---

١ ـ الآية ١٤، سورة المؤمنون.
٢ ـ الآية ٩، سورة السجدة.
٣ ـ الآية ٥٦، سورة الذاريات.
٤ ـ الآيات ١ ـ ٢٠، سورة الليل.

ج) ليس هنالك تمايز بين امكانية حيازة كل من المرأة والرجل على الأمان الإلهي فكلاهما يحظى نفس الثواب عن عمل صالح معين، كما تدل الآية: **﴿من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾**[1].

د) كل من الرجل والمرأة معرض للضلال والانحراف تأثراً بوسواس الشيطان ولم تذكر الآيات: **﴿فوسوس لهما الشيطان...فدلاهما بغرور فلمّا ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان..﴾**[2] وغيرها من الآيات ـ التي تطرقت لموضوع خروج الإنسان من الجنة ـ أن الشيطان خدع حواء وحواء هي التي خدعت آدم.

هـ ـ) المرأة والرجل متساويان ومتكافئان في ميزان ثواب الأعمال عند الله سبحانه وتعالى، فكلاهما يدخل الجنة جزاء عمله الصالح. **﴿ومن عمل صالحاً من ذكر وأنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة...﴾**[3]. لقد وعد الله بذكر عبارة «من ذكر وأنثى» المرأة والرجل بالمساواة بينهما عند إثابتهما عن أعمالهما الصالحة. وعدم غض النظر عن أي عمل من هذه الأعمال في حالة تساوي الدرجة الإيمانية لفاعله. فوعد كليهما بحياة طيبة في حالة تمسكهما بالإيمان والعمل الصالح.

---

١ ـ الآية ٦٢، سورة البقرة.

٢ ـ الآيات ١٩ ـ ٢٢، سورة الأعراف .

٣ ـ الآية ٤٠، سورة غافر.

٣ ـ التساوي في القدرة على التكامل والرقي

أودع الله سبحانه وتعالى كيان الإنسان ـ سواء أمرأة كانت أم رجل ـ بالقوة مواهب كثيرة. فلكليهما قدرة متكافئة لاكتساب الصفات الحميدة وهما لا يتمايزان من هذه الناحية قيد أنملة. وإنما التقوى، الإيمان والعمل الصالح هو المقياس الوحيد لتفضيل أحدهما على الآخر كما يتبيّن في الآيتين:

﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف...﴾ و ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله﴾[1].

الطبيعة الإنسانية

يقسم القرآن الكريم خصائص وطبائع الإنسان (سواء الرجل أو المرأة) الى قسمين:

الخصائص الحميدة:

ـ إن الإنسان خليفة الله في الأرض (الآية ٣٠ من سورة البقرة).

ـ يتحمل الإنسان أعباء مسؤولية حمل الأمانة الإلهية (الآية ٧٢ من سورة الأحزاب).

ـ سجود الملائكة له (الآية ٣٤ من سورة البقرة).

---

١ ـ الآية ٦٧ والآية ٧١ من سورة التوبة.

ـ يتسم بكرامة ونبل ذاتيين (الآية ٦٢ من سورةالإسراء).
ـ خلق ما في الأرض من أجله (الآية ٢٩ من سورة البقرة).

الصفات المذمومة:

ـ إن الإنسان ظلوم جهول (الآية ٧٣ من سورة الأحزاب).
ـ كفرانه بنعمة ربه (الآية ٧٢ من سورة الأحزاب).
ـ طغيانه عند غناه (الآية ٧ من سورة العلق).
ـ الإنسان عجول (الآية ١١ من سورة الإسراء).
ـ ان الإنسان بخيل (الآية ١٠٠ من سورة الاسراء).
ـ يحب الجدال (الآية ٥٤ من سورة الكهف).
ـ انه ضيق الصدر (الآية ١٨ من سورة المعراج).
ـ منعه العطاء عندما يغدق الله عليه بنعمه وجزعه عند الشدائد (الآيات ١٩ و ٢٠ من سورة المعراج).

نستنتج من الآيات المذكورة ان طبيعة الإنسان تدرك السوء والحسن وإن هذه الصفات قد أودعت في كيان الإنسان بالقوة فمن شأنه إذن ان يختار لنفسه وبإرادته أحد طريقين، إما أن يتحلى بالصفات الحميدة أو يغرق نفسه في مستنقع الصفات الذميمة. إن مواهبه الذاتية تهيىء له الامكانات اللازمة لرقيه ونيله الكمال الإنساني. ولا يوجد أي اختلاف بين المرأة والرجل في هذا المجال وهذا ما تدل عليه الآية: **﴿إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً﴾**[1].

---

١ ـ الآية ٣، سورة الإنسان.

٤ ـ المساواة في الحقوق الإنسانية

لقد اهتم الإسلام بمراعاة جانب المساواة في الحقوق الإنسانية لكل من المرأة والرجل. فكلاهما إنسان من وجهة نظره وهما يتمتعان بحقوق إنسانية متكافئة ضمن تعاليمه ولكن اختلافهما الواضح من نواح جسمية ونفسية في طبيعة خلقهما وبالتالي تباين واجباتهما ودورهما والمسؤوليات الفردية والأسرية والاجتماعية الملقاة على عاتق كل منهما يجعل تكافؤ حقوقهما أمراً غير معقولاً. أي أن تباين حقوق المرأة والرجل بالشكل الذى يأخذ طبيعة كل منهما بشكل متساو بعين الاعتبار، يدل على تطابق تعاليم الدين الإسلامي مع العدالة والحقوق الفطرية، وكذلك يوفر مستلزمات سعادة الأسرة ورقي المجتمع وتقدمه.

- ولهذا نستنتج ان الاختلافات الجلية بين الرجل والمرأة من النواحي الجسمية والنفسية والعاطفية، الناجمة عن اختلافهما من حيث البنية الجسمانية، تأثير الهرمونات وتباين الوضع النفسي لا يمكن اعتبارها نقصاً أو كمالاً لأي منهما بل هو تناسب لا غير، لأن كليهما يتمم وجود الآخر وهو بحاجة الى التعايش معه. ولهذا يجب أن نعد اختلاف المرأة والرجل من روائع عالم الخلقة التي تؤدي الى توازن، تناسق، انسجام وتكامل واحدين تتكون من اتحادهما وحدة تامة توفر لكليهما الهدوء والسكينة[1].

---

١ ـ «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة...»، الآية ٢١ ، سورة الروم.

موانع تطور شخصية المرأة

السؤال الذي يطرح نفسه في هذه المرحلة من البحث هو: لماذا أصيبت المرأة على مر التاريخ بالتقهقر النسبي بالنسبة للرجل مع أن الإسلام أكد حتمية تساويها مع الرجل في أصل الخلقة (هما مخلوقان من نفس واحدة) وفي قدرتهما على اكتساب أسمى القيم (التقوى) وعلى الوصول الى ذروة التكامل (الحياة الطيبة والجنة)؟ فهل ان هذا التقهقر ناشئ عن البنية الجسمانية، القوى الفكرية والحالة العقلية، الروحية والنفسية التي تمتاز بها أم أن الرؤى المتحجرة، الجاهلة والظالمة التي سادت المجتمعات حول النساء هي التي منعتها من التقدم الى الأمام؟

وهنا يجب تحديد الرؤية حول المرأة باعتبارها إنساناً قبل التأكيد على جنسيتها، فهي حسب التعابير القرآنية إنسان خلق على أحسن تقويم وأودعت فيه منذ خلقه أفضل الخصال، إنها إنسان تحمل عبئ مسؤولية رفضت السموات والأرض والجبال تحملها. إذ لم يتقبل مسؤولية حمل الأمانة الإلهية غير الإنسان.

بعد هذه المقدمة يمكننا الاشارة الى النقاط التالية في سياق بحث موانع تطور شخصية المرأة.

١ ـ وجود رؤى ونظريات متحجرة، جاهلة وغير قويمة حول حقيقة دور المرأة. فبعض هذه النظريات ترى أن المرأة خلقت أدنى شأناً من الرجل، أوأنها عامل انتشار الإثم والشر والوسواس في المجتمع وهي ناقصة العقل و..

٢ ـ عدم توفر الثقافة اللازمة لدى النساء والرجال على السواء.

٣ ـ جهل الرجال والنساء ما يخص مكانة المرأة ومواهبها وقابلياتها الذاتية ودورها الفاعل في الأسرة والمجتمع.

٤ ـ عدم وجود أو قلة البرامج المنسقة والشاملة التي تبتغي رقي وثقافة المرأة في كافة طبقات المجتمع.

٥ ـ القيود المفروضة على مساهمة المرأة الفاعلة في ميادين الإدارة والبرمجة في المجتمع.

٦ ـ عجز القوانين عن دعم المرأة والأسرة.

٧ ـ التمييز غير الأصولي بين البنات والبنين في المجالات التعليمية والمهنية وتقسيم الامكانات والمستلزمات التربوية، الثقافية، الرياضية وغيرها بين الجنسين بشكل غير عادل في المجتمع.

٨ ـ انعدام الوعي والثقافة الضروريان بغية فهم وجوب رقي الفتيات والنساء (اللواتي يمثلن نصف المجتمع) في كافة المجالات.

٩ ـ العوائق القانونية:

أ) غموض وعجز بعض الأحكام والقوانين.

ب) عدم تطبيق قسم من القوانين المتعلقة بالمرأة بشكل صحيح.

ج) حرمان المرأة من حقوقها العامة في الأسرة والمجتمع وعدم توفر مؤسسات تستهدف دعم النساء بشكل عام.

د) الصدع الموجود بين الأحكام والقوانين الرامية لتأمين حقوق المرأة.

نظرة علماء الدين المعاصرين الى المرأة

يقول الأستاذ المرحوم محمد حسين الطباطبائي (طاب ثراه) بأن المرأة من بواعث شيوع الرأفة في المجتمعات الإنسانية وعامل من عوامل سيادة الألفة بين أفراد المجتمع[1].

ويعبر آية الله الجوادي الآملي عن رأيه حول المرأة بقوله: تعتبر القوة والصرامة من خواص الرجل التي تعينه على مواجهة الشدائد. فإن لم تكن هذه القوى مرفقة برقة المرأة وعواطفها الجياشة فهذا ما كان سيعرض النظام العالمي للتفكك والانحلال. ان الطبيعة البشرية تستلزم -بغية مواصلة حياتها التكوينية والاجتماعية- وجود عنصري المرأة والرجل وخصائصهما المتمايزة معاً. ان العواطف الإنسانية تعد من أهم ضروريات الحياة في جميع المجتمعات والمرأة هي اساس ومنبع هذه الأحاسيس الايجابية النابعة من المشاعر الأسرية[2].

ان الأسرة من وجهة نظر علم النفس الاجتماعي أهم وسيلة من وسائل دعم قوى المجتمع والمحافظة على سلامة الأخلاق والنفس الإنسانية. وتلعب المرأة دوراً كبيراً في المحافظة على قوة الأواصر الأسرية المقدسة ووحدة أفراد العائلة بما تتمتع به من كيان مفعم بالعواطف الإنسانية النبيلة التي أهلتها لتحمل أعباء المسؤولية.

فالمرأة الأم كما ذُكر منبع جياش بالمشاعر الإنسانية كالحب والحنان، الإيثار والتضحية، النبل، الصبر، الحق والعدالة والتي تعد من

---

١ ـ الميزان، ج ٨، ص ٤٦.

٢ ـ آية الله الجوادي الآملي، المرأة في مرآة الجلال والجمال.

مستلزمات الصحة والاستقرار النفسيين في أفراد المجتمع (سواء الذكور أو الإناث). وتلعب المرأة كذلك دوراً أساسياً في التناسل وتربية الأجيال فالى جانب مساهمتها في مرحلة انعقاد النطفة وبشكل متناصف مع الرجل، يبقى رحمها وسائر أعضاء جسمها مأوى يرعى النطفة ويهيئ لها ظروف النمو والتكامل.

وقال عنها الإمام الخميني (قده)

- المرأة مظهر من مظاهر تحقق الآمال البشرية.
- المرأة تربي المجتمع.
- من أحضان النساء يسمو الرجال.

إن المرأة والى جانب كونها إنسان يتماثل مع الرجل في أصل الخلقة، فهي بعواطفها والجاذبية التي تتحلى بها تدفع الرجل نحو التحرك والرقي والإبداع والنبوغ.

وأخيراً نقول أن أية محاولة تبذل في اطار التخطيط والبرمجة وأية أموال تصرف في سياق دعم تطور المرأة ورقيها الثقافي، العلمي، الاجتماعي، والسياسي والحفاظ على حقوقها الفردية، الأسرية والاجتماعية ، تعتبر بالتالي خطوة تقدم نحو تحقق سلامة المجتمع وتساميه.

مكانة المرأة في نظام الجمهورية الإسلامية في إيران

مقدمة: هيأ انتصار الثورة الإسلامية في إيران -وهي من كبريات أحداث القرن العشرين- الأرضية لتحولات سياسية، ثقافية، اجتماعية واقتصادية متنوعة على المستويين الداخلي والخارجي.

وكانت مساهمة المرأة الفاعلة في تسجيل أحداث الثورة من الظواهر المدهشة التي تستحق التأمل والدقة.

ولهذا قال قائد الثورة الإسلامية الإمام الخميني (قده) بشأنها: «ان انتصار الثورة كان هدية النساء لنا قبل أن يكون حصيلة جهاد الرجال. لقد تقدمت نساؤنا المحترمات صفوف المجاهدين وكنّ من عوامل شحن الرجال بالشجاعة والشهامة».

ويقول في حديث آخر: «كان للنساء الإيرانيات في نهضة الثورة دور أكبر من دور الرجال فيها..». وعلى أية حال نستطيع القول ان المرأة بغض النظر عن جميع مشكلاتها والقيود التي كانت مفروضة عليها خلال السنوات المنصرمة إلا أنها حازت في ظل الثورة الإسلامية في إيران شخصية وكياناً مستقلين. ويشير توسع دائرة الأمن الاجتماعي، تضاؤل استغلال المرأة كألعوبة أو آلة في وسائل الاعلام، المحافظة على سيادة المثل الأخلاقية، استقرار الاحترام في الأسرة وتوفر فرصة استثمار الامكانات الدراسية،المهنية، الفنية، الرياضية و...، كل هذه المؤشرات النوعية والمعنوية تدل على تحسن وضع المرأة في المجتمع ولكنها ما زالت بحاجة الى اجتياز طريق طويل في كافة المجالات للوصول الى الوضع المطلوب والمناسب لها[1] (كديور، ١٩٩٦) . وعلى النساء وجميع مسؤولي الشؤون

---

١ ـ نقلاً عن كتاب «المؤشرات الاجتماعية والاقتصادية في حياة المرأة في الجمهورية الإسلامية في إيران، ١٩٩٧»، مكتب شؤون النساء في مكتب رئاسة الجمهورية.

الثقافية في البلاد، بذل جهود مضاعفة بغية التغلب على النقائص وتطبيق بنود القانون الأساسي المتعلقة بقضية المرأة بشكل أفضل.

أوضاع المرأة في الجمهورية الإسلامية في إيران

إزداد في أعقاب انتصار الثورة الإسلامية، خاصة في العقد الأخير، الاهتمام بأوضاع المرأة وبمكافحة حالة التمييز بينها وبين الرجل وذلك استناداً الى التعاليم الإسلامية. وقد تغيرت جميع المؤشرات فيما يخص شؤون المرأة نحو الأفضل بشكل سريع. وكانت الكثافة السكانية للنساء تسجل ما يناهز العدد ١٦/٤ مليون نسمة بين سكان البلاد في عام ١٩٧٦ بينما وصل هذا العدد الى ٢٩/٥ مليون نسمة في عام ١٩٩٦، أي أنه شهد زيادة نحو ٨٠٪ عما كان عليه عام ١٩٧٦. ويعود ذلك الى التطور الملحوظ الذي شهدته المؤشرات الصحية، الاجتماعية والثقافية التي تخص النساء.

أ) الوضع الدراسي

لم تتجاوز نسبة النساء القادرات على الكتابة والقراءة في عام ١٩٥٦، ٨٪ من مجموع النساء في البلاد. ووصلت هذه النسبة الى ٢٦٪ في العام ١٩٧٦. بينما تم تسجيل نسبة ٥٢٪ في العام ١٩٨٦ و ٧٤٪ في العام ١٩٩٦ في هذا المجال، أي زيادة بمعدل ٣٠٠٪ عما كانت عليه قبل انتصار الثورة الإسلامية.

وكانت هذه الزيادة ملحوظة في القرى والأرياف بشكل أكبر، حيث سجلت الاحصاءات نسبة ٦٢٪ في العام ١٩٩٦ بينما كانت لا تتجاوز ١/٢٪ من مجموع النساء اللواتي يقطن هذه المناطق في العام ١٩٥٦.

وبلغت نسبة الإناث بين صفوف التلاميذ والطلبة ومنهم طـلبة الجامعات حسب الاحصائيين العامين للـنفوس والمسكـن واللـذين أجريا فـي العـامين ١٩٧٦ و ١٩٨٦، بـالتوالي ١٧٪ و ١٨٪ بـينما تجاوزت هذه النسبة وبفضل اندفاع الفـتيات نـحو تـحصيل العـلوم وتضاؤل الموانع التي تقف في دربهن، ٣٠٪ في العام ١٩٩٦. وأكـبر زيادة سجلها عدد الطالبات حدثت في العقد الماضي. في الوقت الذي انخفضت فيه نسبة ربات البيوت من ٧٩٪ من مجموع النساء في العام ١٩٧٦ الى ٦٥٪ منهن في العام ١٩٩٦. إن نسبة ١/٢٪ تعلقت فـي العام ١٩٨٦ بطالبات المرحلة الجامعية مـن بـين مـجموع الفـتيات المنهمكات باكتساب العلوم في كافة المراحل الدراسية، بينما وصلت هذه النسبة في الوقت الحاضر الى ٤/٣٪، أي أنها شهدت زيادة تقدر بـ ٣٥٠٪ بالنسبة للإحصاء السابق.

ب) مستوى النشاط الاجتماعي

كانت نسبة النساء المسـاهمات فـي النشـاطات الاجـتماعية المتنوعة في العام ١٩٩٦، ٩٪ من مجموع النساء أي أن ٩٠٪ منهن تقريباً يعتزلن مثل هذه النشاطات، وكانت نسبة العاملات منهن فـي

العام ١٩٧٦ تناهز ٨٤٪ من النساء وفي العام ١٩٩٦ (أي عند ازدياد عدد النساء بنسبة ٨٠٪ عما كان عليه)، قاربت هذه النسبة ٨٧٪. أما العطالة فقد سجلت في العام ١٩٨٦ أي إبان الحرب العراقية المفروضة على الجمهورية الإسلامية، نحو ٢٥٪ بينما كانت ١٦٪ عام ١٩٧٦. وانخفضت حتى ١٣٪ عام ١٩٩٦.

ان انتشار العطالة في المدن جراء توقف التنمية الصناعية وتدمير المعامل والمصانع جراء الحرب أدى الى انتشار العطالة في المدن حتى بلغت ٢٩٪ في العام ١٩٨٦ بينما كانت هذه النسبة ٦٪ في العام ١٩٧٦. ولكنها عادت لتنخفض بعد الحرب لتصل الى ١٣٪ عام ١٩٩٦. اما في القرى والأرياف فنسبة النساء العاطلات شهدت تغيراً جزئياً جداً حيث بلغت ٢١٪ في العام ١٩٨٦ بينما كانت ٢٢٪ في العام ١٩٧٦، أي ان النشاطات في القرى لم تتأثر بظروف الحرب كما حدث في المدن مما أدى الى انخفاض نسبة العطالة بين النساء آنذاك وقد وصلت ١٤٪ في العام ١٩٩٦.

وتتجه النساء في المدن الى العمل في قطاع الخدمات أكثر من غيرها من المجالات بينما يتركز عمل النساء في القرى في قطاع الصناعات العامة والصناعات اليدوية. وكانت نسبة النساء العاملات في قطاع الخدمات ٤٦٪ من مجموع العاملات منهن وفي قطاع الصناعة ٣٤/٥٪ وفي قطاع الزراعة ١٧٪. وتشير مؤشرات عمل المرأة في الوقت الحاضر الى اشتغالها في القطاعات الوسطى خلافاً لما امتاز به عملها قبل هذا حيث كان متركزاً على العمل في المهن

المتدنية. إذ تحددت نسبة العاملات في المهن التخصصية بـ ١٥٪ في العام ١٩٧٦، بينما بلغت هذه النسبة نحو ٢٨٪ في العام ١٩٩٦م. وقاربت نسبة العاملات في سلك الانتاج ٥٣٪ في العام ١٩٧٦ ولكن لم تتجاوز نسبة العاملات في قطاع الخدمات البسيطة الـ ٤٪.

ج) المؤشرات الصحية:

ـ متوسط الأمل في الحياة

تتصف الإناث منذ الولادة بأملهن في حياة أطول أمداً مما يتوقعه الذكور وقد شهدت هذه الميزة لديهن تزايداً في السنوات الماضية. فبينما كان متوسط أمل الإناث في الحياة في العام ١٩٨٦، ٦٠ سنة بلغ ٦٨ سنة في العام ١٩٩٦. وهذا يعود الى زيادة الاهتمام بقطاع الصحة العامة وانتشار المؤسسات الصحية في البلاد، خاصة في القرى والارياف.

إن متوسط الأمل في الحياة كان يبلغ لدى الإناث في المدن ٦٥ عاماً في العام ١٩٨٦ و ٧٠ عاماً في سنة ١٩٩٦. وفي القرى والأرياف إزداد هذا الأمل ليبلغ ٦٧ سنة حسب الاحصاء الأخير بينما كان ٥٦ سنة عام ١٩٨٦.

د) الوضع العائلي

ـ معدل الزواج

شهد معدل زواج الذكور زيادة خلال العقود الأخيرة وبينما كان يسجل ٧ أشخاص من بين ألف شخص في العام ١٩٨٦، أصبح هذا العدد ٨ أشخاص بين ألف شخص في العام ١٩٩٦.

- معدل الطلاق

ان نسبة الطلاق وإن كانت قد شهدت إزدياداً طفيفاً في السنوات المنصرمة إلا أنه سجلت في العام ١٩٩٦ إنخفاضاً عما كانت عليه عام ١٩٨٦. فبينما كانت ٦ حالات في كل عشرة آلاف من حالات الزواج، وصلت الى ٨ حالات بين كل مئة ألف حالة زواج، وبلغت هذه النسبة في عام ١٩٩٣، ٦٪ وفي عام ١٩٨٦ نحو ١٠٪ ان تجاوز معدل الطلاق لمعدل الزواج في عام ١٩٨٦ قد يعود نوعاً ما الى الظروف الناجمة عن نشوب الحرب العراقية المفروضة على إيران.

وبلغ معدل الطلاق بين النساء اللواتي عشن حياة زوجية دامت عشرة سنوات أو أكثر في عام ١٩٨٦، ٦٪ وفي عام ١٩٩٦، ٥٪ من بين حالات الزواج المستمرة لأكثر من عقد من الزمن، بينما سجل معدل طلاق الرجال في مثل هذه الحالات ٤٪ و ٢٪ في عامي ١٩٨٦و ١٩٩٦ وسبب هذا الاختلاف بين معدل طلاق الرجال والنساء في مثل هذه الحالات هو توفر الفرص المؤاتية لزواج الرجال ثانية أكثر مما يتوفر لزواج النساء. وتتجاوز نسبة النساء المطلقات العازفات عن الزواج نسبة الرجال المطلقين (ولم يؤخذ في هذا الاحصاء الرجال ذوي العدة نساء في حالة طلاق إحداهن بالحسبان ولكن المرأة التي تتطلق من مثل هذا الرجل يشملها هذا الاحصاء مما أدى الى تسجيل زيادة نسبة النساء عن الرجال).

إن إعادة سبك الرؤى وسيادة التعاليم والثقافة الإسلامية يفسح مجال أوسع أمام الفتاة الباكر والمطلقة والأرملة لاختيار الزوج ويؤدي بالتالي الى المحافظة على سلامة المجتمع بشكل أوسع وينجم عنه انخفاض معدل طلاق النساء.

لقد كان معدل العمر المناسب لزواج الفتاة حسب احصاء سنة ١٩٦٦، ١٨ عاماً وفي سنة ١٩٨٦ نحو عشرين عاماً وفي سنة ١٩٩٦ وصل الى ما يقارب ٢٢ عاماً. (مع ان ارتفاع معدل العمر المناسب للزواج يؤدي الى انحصار دورة الانجاب وعدد المواليد إلا أنه يخالف التعاليم الإسلامية بشأن الزواج واستقرار المجتمع. ونظراً لمنافاته مع المصلحة العامة يجب اتخاذ الخطوات الضرورية لمواجهة هذه الحالة ـ ارتفاع معدل العمر المناسب للزواج ـ وان ترتأىٰ طرق أخرى كتوفير أساليب منع الحمل للوقوف بوجه ازدياد عدد السكان الفادح).

هـ) تكفل الأسرة من قبل المرأة

كان نسبة العوائل التي تتكفلها النساء في عام ١٩٩٦، ٨٪ من العوائل في البلاد. إن ما يقارب ١٥/٨٪ من هؤلاء النساء يعملن بغية تأمين مستلزمات الحياة لاسرهن بينما تمتلك ٢٠٪ منهن دخلاً دون عمل و ٥٨٪ منهن ربات بيوت. ونحن نعاني من تخلف أوضاع النساء في بلادنا وإن كانت المؤشرات الاجتماعية والاقتصادية الخاصة بهن قد شهدت تقدماً كبيراً، إذ أن واحدة من كل أربعة منهن ما زالت تعاني من الأمية. إن المرأة معرضة للمشاكل العائلية بشكل دعا قائد الثورة

الإسلامية آية الله الخامنئي (حفظه الله) الى القول: «ان أعظم ما يقلقني هو وضع المرأة واستقرارها في الأسرة». وهو يصرُّ دوماً على توفير الرعاية والدعم القانوني والأخلاقي للنساء في المجتمع. ويعتبر انعدام الدعم اللازم للنساء اللواتي يتكفلن عوائلهن وتدهور الوضع في بعض المجالات الثقافية و ... من المشاكل التي تعاني منها المرأة. ومن الواضح أن التنمية لا يمكن تحقيقها في المجتمع إلا بمساهمة المرأة الفاعلة وهي نصف هذا المجتمع في انجازه. إذ أنه على المرأة اضافة الى بذل الاهتمام الواعي بدورها الحساس في الأسرة،أن تشارك في هذه الخطوة الهامة بالشكل الذي تسمح به الثقافة الإسلامية.

* * *

الفصل الخامس

دور المرأة في التنمية

التنمية عبارة عن رقي بني الإنسان واضمحلال الفوارق بينهم، وتتضمن الجوانب النوعية اضافة الى جوانبها الكمية. وبهذا التعريف لا يخفى على أحد ان تحقيق التنمية أمر غير ممكن في حالة الاغفال عن دور النساء فيه لأنهن يشكلن نصف المجتمع. إذن على النساء التحرر من القيود التي تحصرها في نطاق استثمار الخدمات، والتوجه للمساهمة في أداء دور فاعل في النشاطات البناءة على صعيد البرمجة والتخطيط واتخاذ القرارات أيضاً، لا بهدف اكتساب امتياز خاص للنساء بل لتحقيق التنمية الحقيقية التي تحقق المساواة وتقوم ببلورة قابليات ومهارات النساء والرجال معاً. فهذان الجنسان من وجهة نظر التنمية، بحاجة الى أمور مختلفة ومتباينة لما يمتازان به عن بعضهما من فوارق واضحة. وهذا ما نراه قد حدث على الصعيد الدولي خلال الثلاثين عاماً الماضية، من تأكيد على دور النساء في التنمية، وأدى الى اهتمام المنظمات، الوزارات، المؤسسات المختلفة بالتخطيط لتوسيع دائرة مساهمة النساء وتوضيح أدوارهن في الحقول

التنموية المختلفة ولكن بشكل يهيئ للمرأة الظروف المناسبة لنجاحها في تحمل أعباء مسؤولياتها المتنوعة كزوجة وأم وربة بيت وعاملة أو مزارعة، معلمة أو طبيبة أو ...

أدوار النساء

تلعب النساء أدواراً مختلفة ومتنوعة في المجتمع إلا أن القسم الأعظم مما تؤديه من نشاطات، مثل الحمل، رعاية الأبناء وتربيتهم وادارة شؤون المنزل، تعد أعمالاً طبيعية لا ينجم عنها انتاج خاص لأنها تقوم بها في محل سكناها. ولهذا لا يتم تقييمها مما يأتي على المرأة بتبعات خطيرة أخرى بسبب كونها أعمالاً غير منظورة ولا ـ تعد من منظار الرجال وحتى في بعض الأحيان من وجهة نظر النساء أنفسهن ـ عملاً يترتب عليه الأجر والاحترام كعمل الرجال.

أهمية الجنسية في مرحلة البرمجة والتخطيط

تعد الاحتياجات والرغبات الخاصة بكل من الرجل والمرأة من الفوارق الجنسية بين هذين الجنسين. ولمعرفة هذه الفوارق وأخذها بالحسبان أهمية بالغة في مرحلة البرمجة والتخطيط لشؤون المرأة إذ يجب التمييز بين مصلحة المرأة والمسائل المتعلقة بجنسيتها. والمطالب الجنسية هي مطالب الرجال والنساء التي تظهر بسبب اختلاف الظروف الاجتماعية والمؤشرات الجنسية لكل منهما. فقوانين الوظيفة مثلاً تنظر الى كل شخص باعتباره فرداً يتقاضى أجوراً أو راتباً شهرياً إزاء عمله دون الالتفات الى كون الموظف أحياناً

إمرأة عليها إداء دور ثلاثي هو انجاب الأطفال وتربيتهم وادارة شؤون المنزل الى جانب عملها خارج البيت مما يؤدي الى تعرضها الى ضغوط نفسية شديدة نتيجة تضارب ساعات عملها مع الزمان المطلوب منها فيه أداء دورها كأم. إن انعدام التنسيق وغياب التغييرات المطلوبة من أجل تلاءم البرمجة مع ضرورات حياة المرأة يجعل تحقيق الأهداف المنشودة مستحيلاً بل يؤدي الى تدهور أوضاع النساء أكثر مما هي عليه في الوقت الحاضر.

ان مسألة الجنسية والتنمية أصبحت في الوقت الحاضر تطرح في المجتمعات المعاصرة كافة جراء التطورات السريعة التي شهدتها هذه المجتمعات على الأصعدة الاقتصادية، الاجتماعية والثقافية بينما كان التصور العام السائد في الماضي مبني على كون الفوارق بين المرأة والرجل فوارق حياتية لا غير رغم اختلاف أدوارهما في المجتمع وإن الاختلافات الجنسية ناشئة عن المؤشرات التاريخية، الدينية، الاقتصادية والثقافية. وأن الأدوار الجنسية تشير بحد ذاتها الى انسجام أو تفكك طبقات المجتمع وشرائحه المتنوعة. وبما أن هاتين الحالتين ناجمتين عن البنية الاجتماعية فانهما لا تسودان المجتمع بشكل دائم بل تخصان زمان ومكان وظروف معينة.

وتتدخل عوامل كثيرة في ايجاد مشاكل النساء وعراقيل التنمية على الصعيد الدولي، الحكومي وغير الحكومي في جميع البلدان. ومن هذه العوامل: اتخاذ القرارات من قبل المسؤولين والمخططين للتنمية دونما علم أو اكتراث بأهمية الجنسية في انجاز الأعمال.

ويقوم في أكثر الأحيان باتخاذ القرارات الأساسية في المجتمع رجال بعيدون عن واقـع المسـائل الجـنسية إذ لا يـمتلكون أيـة رؤيـة أو معلومات لازمة لفهم واستيعاب هذا الأمر الهام. ولهـذا نـؤكد عـلى ضرورة مساهمة المرأة جنباً الى جنب الرجل وبشكل فاعل في جميع الأعمال والنشاطات مثل البرمجة واتخاذ القرارات.

ولهذا يكون النجاح حليف البرامج التي تعير القضايا المـتعلقة بالجنسين الاهتمام الكافي. إذن يجب عند البرمجة التمييز بين نـوع الجنسين الى جانب رعاية مستوى الدخل المأخوذ بعين الاعتبار لكل مهنة. إن الوصول الى هذه الغاية يستوجب اجراء تـغييرات أسـاسية خاصة في مجال البرمجة ليتم الالتفات الى جميع ضروريات حـياة المرأة وأدوارها الأساسية في البيت وخاصة تربية الأطفال.

وتسعى نظرية تنمية قدرات المرأة وهي احدى النظريات التـي تتبنى دراسة الطرق الكفيلة بتحقيق الأهداف المـذكورة، تسـعى الى ترسيخ هذه الحقيقة في الأذهان وهي ان القدرة والقوة لا تعد امتيازاً يدعو الى تفضيل شخص على آخر وان تنمية قدرات المرأة أسلوب من أساليب زيادة شعورها بالاستقلالية وتـنمية قـابلياتها المكـنونة لتستطيع أداء دورها بجدارة استناداً الى الثقة بالنفس. ان هذه النظرية وخلافاً لنظرية تساوي الجنسين التي تؤكد على تقديم المـرأة عـلى الرجل على مستويي العـائلة والمـجتمع، تـهدف الى اعـادة تـوزيع المواهب والقابليات بينهما على هذين المستويين وتتم تنمية القـوى حسب هذه النظرية عن طريق مـنح حـق الاخـتيار للـمرأة وفسـح

المجال أمامها في مجال اتخاذ القرارات في الحياة وأداء الدور المؤثر في عملية الاختيار والانتخاب واتخاذ القرارات عن طريق التدخل في الشؤون المالية وغير المالية واستثمار مصادر الدخل المادي وغير المادي من أجل ايجاد التغييرات المطلوبة والأساسية في الأسرة والمجتمع.

المرأة، الأسرة والعمل

استرعى موضوع عمل المرأة وآثاره على الأسرة في أعقاب ازدياد مساهمات المرأة في المحتمع كيد عاملة، انتباه الكثير من الباحثين والمفكرين. وبأخذ عمل الأم في البيت والذي يستغرق جل أوقاتها بنظر الاعتبار الى جانب عملها خارج المنزل، نجد أنها تعمل أكثر من الأب أو من النساء غير المتزوجات أو المتزوجات غير الأمهات. والسبب في زيادة ساعات عمل النساء عن ساعات عمل الرجال (شيهان[1] وريكسروت[2] ١٩٨٧) هو انعدام المساواة في توزيع مسؤولية ادارة شؤون المنزل ورعاية الأطفال بين كل من الرجل والمرأة في جميع أنحاء العالم.

فالأم في شتى المجتمعات الغربية والشرقية تتعهد بمسؤولية اقتناء مستلزمات الأسرة، تنظيف الدار، الطهي، غسل الملابس، تربية

1_ Shehan.

2_Rexroat.

الأطفال ورعايتهم الى جانب عملها خارج البيت وبدوام كامل. لقـد أثبتت الاحصائيات الجارية (كـوان[1] وآخـرون ١٩٨٣) ان مـعدل ساعات عمل الرجل سواء خارج البيت أو في نـطاق تـقديم العـون للمرأة في شؤون المنزل يبلغ ٥٠ ساعة في الأسبوع بينما يبلغ عدد ساعات عمل الامهات العاملات خارج البيت ٨٥ ساعة.

دوافع اشتغال النساء

ان جمع غفير من النساء يعمل خارج البيت بغية سد إحتياجات الأسرة المالية والاقتصادية. والبعض الآخر منهن يفكر أيضاً بـالعمل لرغبته في الاستقلال والتطور وازدهار الطاقات الكامنة فيه. وتتطلب الظروف الاقتصادية والاجتماعية الراهنة التـي تـعيشها المـجتمعات العصرية اشتغال شخصين في أكثر العوائل لتتمكن من مواصلة الحياة ومواجهة الفقر وسد الحاجات الأساسية للاسرة، وذلك بانفاق الدخل المشترك لكليهما في سبيل توفير تكاليف المعيشة. وتمثل العـازبات والنساء المطلقات والارامل النسبة الأكبر من النساء اللواتي يضطرن الى العمل من أجل تأمين الحاجة الاقتصادية للاسرة. ونظراً لما تلعبه المرأة من دور أساسي في تدبير شؤون الأسرة وتربية الأطفال فـان اشتغال الأم خارج البيت يترك آثاره على وشائجها الزوجية وعلاقاتها مع أبنائها. وهذا ما سنتحدث عنه باختصار:

---

1 _Cowan.

أثر اشتغال المرأة على الوشائج الزوجية

تـــختلف النســـاء شـأنهن شـأن سـائر الراشـدين مـن حـيث طموحاتهن المهنية وتوقعاتهن النوعية من أنفسهن كانثى وكذلك في مدى احرازهن على دعم ازواجهن لهن. وتعتبر المرأة دعم الزوج لها مفتاح نجاحها في التوفيق بين دوريها المختلفين في العـمل خـارج البيت وداخله. وليس الجانب المادي في اشتغال المرأة هـو العـامل المؤثر الوحيد في الشعور بالارتياح من العـلاقات الزوجـية بـل ان لمدى تعاون الزوج مع الزوجة في أداء المهام المنزلية أيـضاً تـأثيراً مباشراً على الشعور بهذا الاحساس. وتـتضمن مـؤازرة الزوج هـذه نظرته الايجابية الى عمل الزوجة وتأثير دخلها ومساهمته في ادارة شؤون المنزل وانجاز الأعمال المتطلبة فيه.

اشتغال الأم ونشأة الطفل

أجريت حتى الآن أبحاث جمة حول أثر اشتغال الأم في تنشئة الطفل. ومن هذه الأبحاث تحقيقات لويس هافمان[1] (١٩٨٤) في هذا المجال. لقد قام هذا البـاحث بـاجراء مســح للـتحقيقات الــتي أجريت حول اشـتغال الامـهات خـلال الخـمسين عـاماً المـاضية، ليستطيع بذلك استقراء الأثر السلبي لهذا الأمر عـلى الأطـفال. لقـد أثبتت نتائج هذه التحقيقات ان اشتغال الأم وبالتالي التـحاق الطـفل

1 _ lios hoffman.

بدور الحضانة يترك أثراً سلبياً تقريباً على الذكور من الأبناء بينما تتمتع بنات الأمهات اللواتي يعملن خارج المنزل حسب هذه التحقيقات بمزايا أفضل مما تتمتع بها بنات ربات البيوت من حيث المؤهلات العلمية والثقة بالنفس والتقدم الدراسي. كما انهن أكثر قدرة على احراز النجاح عند ولوج ميدان العمل في المهن المختلفة. فكما يتأسى أكثر الذكور بآبائهم العاملين، تكون الأمهات العاملات مثال التنامي والتطور بالنسبة للبنات. إن الامهات اللواتي قلما يتمتعن شفوياً أو عملياً بمؤازرة الزوج لهن في سياق ادارة شؤون البيت وتربية الأطفال يتحملن ضغوطاً نفسية عارمة إثر قيامهن بأدوارهن المتنوعة.

ان ارتياح الزوج لعمل الزوجة يرتبط ارتباطاً تاماً بمدى اشتراكهما بشكل فعال في أداء الأعمال المنزلية، وكذلك بنظرتهما الموحدة الى العمل والحياة الاسرية. إذ يرى الرجال غير التقليديين مثلاً ان اشتغال المرأة يفرض على الأسرة تكاليف باهضة، منها: تقلص أوقات الفراغ، ضرورة زيادة الوقت المخصص للقيام بأعمال المنزل، انحصار النشاط والعلاقات الجنسية بسبب الارهاق وعدم توفر الوقت الكافي لذلك. على أية حال يتوقف ارتياح أو عدم ارتياح الزوجة والزوج في هذا المضمار على رؤاهما بالنسبة لأدوارهما الجنسية وقدرتهما على التخطيط والبرمجة الصحيحة لتنظيم أوقاتهما ونشاطاتهما.

وبعبارة مختصرة لا تقتصر قدرةالأمهات العاملات على امكانية

ايفائهن الدور المناسب في الحـياة اليـومية لأبـنائهن وادارة الحـياة الاسرية بل انـهن يـتمكنّ كـذلك مـن أداء دور مـؤثر فـي التـنمية الاقتصادية في المجتمع.

لقد كشفت التحقيقات الجارية حول الامهات العـاملات أنـهن يشعرن بفاعلية وجودهن أكثر عند قيامهن بدور ثنائي في الحياة. ومع ذلك فان هؤلاء النسوة يطالبن بفرص للعمل بمعدل نصف دوام وبتوفر المؤسسات المؤهلة لرعاية أبنائهن.

نتائج التحقيقات حول أثر عمل الأم على الرقي الاجـتماعي والتقدم الدراسي للأبناء

تخصص الامهات العاملات ساعات أقل من وقتهن مقارنة مع ربات البيوت لرعاية أبنائهن إلا أنهن يستثمرن هذه الساعات بشكل أفضل من غـيرهن، حـيث تشـير الأبـحاث الى أن بـنات الأمـهات العاملات يعتبرن امهاتهن شخصيات مستقلة، تتمتع بثقة عالية بالنفس وقدرة على أداء أدوار اجتماعية لائقة بهن بينما يبدو أن الذكور من أبناء الأبوين العاملين خارج البيت يفتقدون الشعور بالاستقرار والثقة بالنفس والمستوى الدراسي الذي يحظى به غيرهم كما انهم لا يبدون جدارة اترابهم في اختبارات الذكاء (غيلد وأندروس ١٩٩٠). وتتأثر حصيلة عمل الأم ورعايتها لأبنائها الى حد بعيد بـنوع العـمل الذي تؤديه خارج البيت وموقعها المهني ومدى الالتزامات المتطلبة منها. ان المهمة التي تشعر الأم خلال انجازها بمكانتها وجدارتها وبالرضا

والارتياح، إنما تدفع علاقة الأم بأبـنائها نـحو الأحسـن. ويـحدث خلاف ذلك في حالة شعور الأم بالارهاق الجسمي والنفسي جـراء عملها مما يفقدها الثقة بالنفس ويترك آثاراً سـلبية عـلى عـلاقاتها بأبنائها وسلوكها معهم.(هافمان ١٩٩٢).

فلقد بينت أبحاث واحصائيات علماء النفس خـلال السـنوات الأخيرة ان نمط العلاقة بين الوليد ومن يرعاه يرتبط ارتباطاً وثـيقاً بمدى ما يتمتع به الطفل من النمو والرقي الاجتماعي، الحنان ومدى تعرفه على نفسه. صحيح انه لا يـمكن انكـار دور الأم فـي شـعور الأطفال بالاستقرار والطمأنينة خاصة خلال السنتين الأولى من العمر إلا ان التحقيقات أثبتت أن الأمـهات العـاملات يشـعرن بـالارتياح ويتمتعن بوضع متكافئ في علاقاتهن بأزواجـهن أكـثر مـن ربـات البيوت. وكذلك أبنائهن يترعرع فيهم الاحساس بالمسؤولية وتتكون لديهم رؤى أكثر وضوحاً بالنسبة للجنسية وحول دور الرجل والمرأة في المجتمع، لكن يبدو مع ذلك ان الإناث أكثر تأثراً بايجابيات عمل الأم من الذكور ومن بنات ربات البيوت حيث يتقدمنهن من نـاحية الثقة بالنفس والروح الاجتماعية والتقدم الدراسي والرغبة في العمل. أما الذكور من أبناء العاملات فان شخصيتهم تكون أكـثر اجـتماعية واتكاءً على النفس وهم فـي الوقت نـفسه أقـل تـقدماً مـن حـيث المستوى الدراسي من أبناء ربات البيوت. وتشير أبحاث هافمان الى اشتداد هذه الحالة في العوائل المتوسطة والعليا بينما يتفوق الذكـور من أبناء العوائل المتدنية على غيرهم من ناحية المستوى الدراسـي

ونتائج اختبارات الذكاء.

وقد توصلت الأبحاث الجارية في إيران الى نتائج متشابهة مع نتائج الأبحاث التي أجريت خارج البلاد حتى الآن. إذ بينت تـفوق الذكور والاناث من أبناء العاملات على أبناء ربات البيوت من حيث الرقي الاجتماعي والتقدم الدراسي وأشـارت فـي الوقت نـفسه الى وضوح التمايز بين البنين والبنات والتفوق الكبير الذي تحرزه الاناث على الذكور في هذين المجالين (تحقيقات بيابانگر وخالقي ١٩٩٢).

حقائق عمل النساء في العالم المعاصر

كانت النظرة التقليدية السائدة حتى قيام الثورة الصناعية تؤيد عمل النساء في البيوت والرجال في المزارع، المـؤسسات الاداريـة والمصانع ولكن هذه الثورة غـيرت مـجريات الأحـداث وأدت الى تقوية تيار الهجرة الى المدن والسير نحو الاستهلاكـية ابـتعاداً عـن الانتاج وأحدثت في حقائق حياة المرأة بين أعضاء اسرتها من جهة وحياتها في محل العمل من جهة أخرى فجوة ازدادت سعتها تدريجياً حتى وصلت الى ما هي عليه. ان توجه نسبة تجاوزت الـ ٥٠٪ من النساء في البلدان الغربية ونسبة مئوية عالية من النســاء فـي بـلدان العالم الثالث ومنها إيران، الى العمل واكتساب الدخل لم يـردم هـذا الصدع بل زاده عمقاً حتى يبدو أن العواقب السيئة لازدواجية الأدوار العائلية والمهنية سوف لن تبقى منحصرة بالمرأة بل تتعداهاالى الرجل أيضاً في مستقبل ليس ببعيد.

يتوقع بعض الباحثين مثل بونبارت[١] واميلي استوبير[٢] (١٩٨٤) ان الظروف المستقبلية ستضطرنا الى اعادة النظر في أبعاد متنوعة من عمل النساء:

١ ـ يجب ردم الصدع الموجود بين البيت ومحل العمل ليس في المجال الفضائي والبنائي فقط بل من حيث النظرة التقييمية تجاه هذا الموضوع (يدور رحى البيت حول العلاقات الشخصية بينما يقوم العمل على أساس كسب الدخل وجمع المال).

٢ ـ حصر الزمان المخصص للعمل وتحمل الشدائد طوال اليوم الواحد أو السنة أو العمر بأسره من قبل المرأة، وذلك عن طريق تسهيل القيام بمسؤولية ادارة شؤون البيت الى جانب توفير الظروف المناسبة لاستثمارها الامكانات التربوية والتعليمية ولقضاء أوقات الفراغ والتغلب على الصعوبات والشدائد المهنية بشكل أفضل.

٣ ـ تنظيم العمل وحذف الروتين المهني المستوجب لرعاية السلم الرتبوي الوظيفي ومنح الحرية وحق اتخاذ القرار للموظفين والعمال ليتمكن أفراد المجتمع من تحسين موقعهم المهني مع اختصار الزمان والحاجة الى التدريب أو الدراسة.

---

1 _ Bonpart.

2 _ Stopper.

الجدير بالذكر ان التحولات المستقبلية التي تأتي بها هذه الخطوات لن تحط برحالها في ساحة عمل المرأة فقط بل يحدث ذلك في نطاق عمل الرجل أيضاً.

وقد شهد سوق العمل في جميع أنحاء العالم في القرن الماضي تبعاً للتحولات الاجتماعية والاقتصادية واسعة النطاق التي تطرقنا إليها، تطورات عظيمة أدت الى ازدياد اليد العاملة وان تنوع التوقعات فيما يخص اليد العاملة وزيادة القطاعات الخدمية والادارية، زاد اندفاع المقننين لاستثمار الطاقة النسائية في سوق العمل حتى أصبح عمل المرأة في سوق العمل مؤشراً من مؤشرات الرقي الاجتماعي في المجتمع. ولم تستثنى بلادنا، إيران، من هذه القاعدة أيضاً. إذ تعمل نحو ١٥٪ من نسائنا أيضاً في القطاعات المختلفة فيما عدا قطاع التربية والتعليم. لهذا يجب شحذ الهمم للقضاء على الآثار الهامشية لعمل الأمهات على الأبناء. ونطرح هنا الاقتراحات التالية من أجل المساهمة في التغلب على هذه الصعوبات:

١ ـ نظراً لأهمية العلاقة العاطفية بين الأم والطفل وتعلقه بها وحاجته الشديدة لحنانها ورعايتها على الأم أن تترك العمل خلال السنتين الأولى من حياة أبنائها والاكتفاء باداء دور الأمومة في هذه الفترة.

٢ ـ على الأمهات خاصة ممن يمتلكون أبناء صغار أو من الناشئة، الامتناع عن العمل لدوام كامل وهذا ما يستوجب سنّ قوانين توظيفية جديدة بشأن عمل النساء لدوام غير كامل.

٣ ـ ابتعاد الامهات حتى الامكان عن العمل في الوظائف الخطيرة أو التي تؤول عليها بالاضطراب والارهاق، تحرزاً من آثارها السلبية على دورها العاطفي والتربوي في الأسرة.

* * *

الفصل السادس

التشابه والاختلاف الجنسي

ان أساس وجود المرأة والرجل واحد، إذ أن كليهما إنسان، كما ان الطبيعة قد حكمت بوجود تشابه كبير بينهما. ويميزهما من جهة أخرى فوارق في بعض الحالات. ومن المؤسف أن الابحاث والتقارير العلمية قد أكدت على دراسة الفروق الجنسية بين الرجل والمرأة أكثر من تطرقها لحالات التشابه بينهما. ان تداخل بعض الخصائص في كل من المرأة والرجل يستوجب علينا تحري مدى قوة هذه الخصائص في كل من الجنسين وقياس معدل تميز كل من الفريقين بها. ويتم دراسة التشابه والاختلاف الجنسي بين المرأة والرجل من ثلاثة نواحي: القوى الادراكية، طرق الارتباط والسلوك الشخصي والاجتماعي:

أ) القوى الإدراكية

نتطرق هنا لدراسة ثلاثة من القوى الادراكية التي تعتبرها بعض

الاستنتاجات مؤشراً على الفوارق الجنسية بين المرأة والرجل. وهي: قابلية التكلم، القابليات الفضائية والرياضيات. يذكر هايد[1] (١٩٨١) أن الاحصائيات التي جرت لاختبار هذه القابليات الثلاث لدى الجنسين لم تثبت وجود أي اختلاف بينهما إلا في نسبة ٥٪ منهم كحد أقصى، اي أن الاختلاف بين الجنسين في هذا المجال ضئيل جداً، وان منع الفتيات أو الفتيان من اختيار مهنة ما بسبب جنسية كل منهم عمل غير معقول. ان مواهب النساء الفضائية أقل من مواهب الرجال وتنحصر هذه المواهب بوجودها في ثلاثة نساء ازاء كل سبعة رجال ولكن علينا ان نتذكر دوماً أن سلب النساء حق العمل في المهن ذات الصلة بالقدرة الفضائية تصرف غير معقول بنفس درجة ابتعاد قرار سلب الرجال حق السياقة عن المنطق بسبب ارتفاع نسبة المصابين منهم بعمى الألوان عن نسبة المصابات به من النساء (في حالة سن مثل هذا القانون). وهناك بعض حالات القدرة الادراكية التي لم يسجل وجود أي فارق جنسي فيها، مثل الذكاء العام، والذي يتم اختباره بأساليب معتبرة. لقد أثبتت تحقيقات موكوبي[2] وجاكلين[3] (١٩٧٤) الشاملة انه لا يوجد اختلاف ثابت بين الرجال والنساء في أعمارهم المختلفة ضمن هذا النطاق. ويقتصر الاختلاف بينهما في مضمون ما يستدعىٰ من الذاكرة في حالات نادرة، مثل المضمون

---

1 _ hyde.

2 _ Moccoby.

3 _ Jecklin.

الكلامي، المضمون الاجتماعي و.... فكان الحكم المستخلص من هذين التحقيقين هو أن المرأة والرجل يتمتعان بذاكرة متشابهة. وان النساء أكثر فاعلية من الرجال عند تذكر الأبعاد الكلامية والاجتماعية.

ولم يتم ملاحظة اختلاف واضح بين الذكور والاناث على صعيد القوى الادراكية الأكثر تعقيداً إذ أثبت كل منهما جدارة متساوية في مجال الاستدلال وحل المسائل (دني[1] وواتيلي[2] ١٩٨٤). وكذلك اختلافهما في الابداع يكون طفيفاً ويرتبط بالمجال المبدع فيه، إذ تتفوق النساء بشكل واضح في الابداع فيما يوكل اليهن من المهام الكلامية، ويبدع الرجال في المهام الفضائية أكثر من النساء. ويكون التشابه ملحوظاً على أية حال بين الرجل والمرأة من حيث الذكاء العام، قدرة التعلم، الذاكرة، الاستدلال، حل المسائل والابداع أكثر من الاختلاف الذي يكون، إن وجد، ضئيلاً جداً وينحصر في دائرة المهام الكلامية، الاجتماعية والفضائية.

القدرة الكلامية

أثبتت أبحاث موكّوبي وجاكلين(١٩٧٤) ان تفوق النساء في النشاطات الكلامية هو أحد أوضح الفوارق الجنسية بين الرجل

1 _ Denny.

2 _ Whitely.

والمرأة، وتؤكد الأدلة ان الفتيات يبدأن التكلم في عمر أصغر من عمر الفتيان ويتعلمن تلفظ الحروف بشكل صحيح أسرع منهم وهن أكثر تحدثاً من الذكور. وتبدأ البنات بالتفوه بأول كلمة في عمر ١١/٤ شهراً والبنين في عمر ١٢ شهراً، ويكون تفوه البنات للكلمات بشكل أوضح من البنين، كما يتقدمنهم في تعلم أسماء الالوان، الأشياء، الحروف، الأعداد والحيوانات منذ السنة الخامسة وحتى الحادية عشر من العمر. ويزداد الاختلاف بين الجنسين في العمر (٩ ـ ١٢) سنة. وتبدي الفتيات فاعلية أكبر من حيث قدرة الكتابة، الاستماع والتحدث، وهن في الوقت نفسه أكثر ثرثرة، ودقة وتركيزاً وفهماً للمواضيع من الذكور، ان أسباب هذا الاختلاف ليست واضحة. وتدل معطيات التحقيقات ان البنين يواجهون صعوبة عند القراءة أكثر مما تعاني منها البنات. وتقاس هذه الحالة بنسبة ٦ فتيان في قبال فتاة واحدة. ويعتقد بعض المحققين ان سبب ذلك يعود الى الظروف والعوامل الحياتية. ان بلوغ الفتيات قبل الفتيان مثلاً يؤدي الى نمو الهيكل العظمي وأنسجة أجسامهن أسرع من البنين. وقد يؤثر بالشكل نفسه على نمو قدراتهن الكلامية أيضاً.

ونوع آخر من التحليلات الحياتية تعزي هذا الاختلاف الى عمل وفاعلية الدماغ. فلكل نصف كرة دماغية (النصف الأيسر والأيمن) حسب هذا التحليل فاعلية خاصة. إذ يرتبط عمل اللسان والنشاطات الكلامية بالنصف الكروي الأيسر من الدماغ والنشاط الفضائي بالنصف الكروي الأيمن من الدماغ. ويكون نشاط نصفي كرتي

الدماغ في الحالات الطبيعية متسقاً، ولكن في حالة ازدياد نشاط نصف الكرة الأيسر تتطور القدرات الكلامية في الشخص، بينما تسمو المواهب الفضائية عند الإنسان إن كان نصف الكرة الأيمن أكثر نشاطاً. على أية حال علينا أن لا ننسى ان التحليلات الحياتية الحديثة غير موثقة بأدلة علمية ولهذا لابد من مجانبة الاستناد عليها في مجال العوامل المؤثرة في ايجاد الاختلافات الجزئية بين الرجل والمرأة.

القدرة الفضائية

تشمل القدرة الفضائية مهارات كالمشاهدة وتبديل الأشكال والأرقام. وتختلف النساء عن الرجال من حيث القابليات الفضائية مثل العثور على الأجسام عند البحث عنها، تعيين الاتجاه و... في الحياة اليومية. وتلعب القدرة الفضائية دوراً كبيراً في حل الألغاز وجداول الكلمات المتقاطعة، استقراء الخرائط ورسم الخرائط المعمارية.

وتشير نتائج اختبارات القدرة الفضائية المتنوعة الى تفوق الذكور على الاناث من هذه الناحية بعد مرحلة الطفولة وحتى عند التقدم في العمر (كوهين[1] وويليكي[2] ١٩٧٩).

تعتقد مجموعة من علماء النفس ان سبب تقدم الرجال على

---

1 _ Cohen.

2 _ Wilkie.

النساء من ناحية القدرات الفضائية هو أن اللعب المتداولة الاستعمال بين البنين أكثر تأثيراً من لعب البنات على تنمية هـذه القـدرات. ان الأطفال الذين يلعبون بالنوع الأول منها يتمتعون بـقابليات فـضائية أكثر فاعلية من الراغبين بالنوع الثاني من اللعب.

قوة الرياضيات

من الفـوارق الجـنسية الإدراكـية التـي أعـارها العـلماء جـل اهتمامهم هي الفوارق في قوة الرياضيات. لقد أثبتت التحقيقات تشابه الجنسين في بعض حالاتها واختلافهما في حالات أخرى. ان أبحاث موكّوبي وجاكلين (١٩٧٤) تثبت تماثل قابلية البنين والبنات عـلى فهم الرياضيات في مرحلة الطفولة بينما يتفوق البنين بعد سن الثانية عشر من أعمارهم على قريناتهم في هذا المـجال.إلا أن اخـتلافهما الثابت والمستدل يبدأ بـعد الخـامسة عشـر مـن العـمر (مـليس[١] ومساعدوه ١٩٨٢).

ان المسوحات الوسيعة التي شملت ٢٠/٠٠٠ شخصاً من البنين والبنات تفسح لنا المجال لاستخلاص هذا الحكم وهو ما أثبته بعض هذه الأبحاث من وجود التشابه في هذا المجال بين الجنسين أكثر من الاختلاف رغم تفوق البنين عادة فيه.

ويمكن تقسيم الفوارق الجنسية من حيث قوة فهم الرياضيات

---

1 _ Melce.

الى خمسة أقسام:

الاختلاف في المحاولات: وتتأثر بالحقيقة الفضائية في الرياضيات، العوامل الحياتية والاجتماعية وأخيراً اختلاف وتباين الرؤى. تبين أبحاث ديرولف[1]، أن نتائج اختبارات الفروع الرياضية الأربعة: الجبر، الهندسة، الرياضيات والفيزياء أشارت الى التفوق المستدل لدرجات البنين على درجات البنات.

ان اختلاف الجنسين من حيث القدرة الفضائية ـ الفيزيائية هو من أهم عوامل اختلاف فاعليتهما في فهم الرياضيات. والى جانب ذلك يعتقد عدد من العلماء أن الفوارق الحياتية هي أيضاً من العوامل الدخيلة في إيجاد هذا الاختلاف، ولكن لا توجد أدلة علمية موثقة تؤيد صحة هذه الاستنتاجات.

ويقول فريق من العلماء ان الظروف والمؤثرات الاجتماعية هي من أهم أسباب ظهور الفوارق الجنسية في قوة الرياضيات. ونظراً لرغبة الأطفال في التأسي بسلوك الراشدين وبما أن توقعات الأبوين والمعلمين من البنين لاحراز التقدم في مجال الرياضيات أوسع نطاقاً من توقعاتهم من البنات فهذا ما يدعوهم لتخصيص وقتاً أوسع لمد يد العون للبنين مما يمهد لهم السبيل لاستحصال مثل هذه النتائج.

ان البنين أكثر رغبة من البنات في ألعاب الرياضيات والألعاب الفضائية وهذا ما يثير فيهم دوافع أقوى للتعلم بشكل افضل وأوسع

---

1 _ Derolf.

نطاقاً.

من دوافع السرور أن الكثير من هذه الرؤى والنظريات قد تغيرت في الوقت الحاضر إذ نشاهد أن الفتيات يكشفن عن قدراتهن في مجال الرياضيات أيضاً باندفاعهن الهادف نحو الانخراط في فروع الرياضيات والفيزياء التخصصية في الجامعات واثبات جدارتهن الفائقة في هذا المجال الى جانب الذكور.

ب) طرق الارتباط

يتصور أكثر الناس ان الارتباط لا يتم إلّا عن طريق الحديث والتحدث. ويحدد أكثرهم رؤيته حول اختلاف المرأة والرجل في طريقة الارتباط في اطار التصورات التقليدية العامة، مثل:

النساء أكثر ثرثرة والرجل أكثر استخداماً للاصطلاحات والمرأة أكثر رقة عند التحدث. ان هذه التصورات وإن كانت الأبحاث قد أيدت صحة بعضها إلا أن غالبيتها بعيدة كل البعد عن أرض الواقع.

ونحن اضافة الى ذلك يمكننا الارتباط بالآخرين بطرق أخرى أيضاً. مثل: حركة أعضاء الجسم، التماس، الابتسامة، التجهم و...

ان طرق الارتباط غير الكلامية فاعلة جداً للتعبير عن القوة، السرور والحزن. ويحكم أكثر الناس هذا التصور وهو أن قابليات المرأة والرجل في هذا المضمار متباينة.

لا ينكر أن كلا الأسلوبين الكلامي وغير الكلامي يلعبان دوراً هاماً في الارتباط بالآخرين ومعاشرتهم في نطاق النشاطات الاجتماعية التي تستغرق حسب التحقيقات الجارية أكثر من ٥٠ ـ

٩٠٪ من يومنا الكامل.

الارتباط الكلامي

ذكرنا في الفصول السابقة ان أكثر النساء يتقدمن الرجال من حيث القدرة الكلامية ومهارة استخدام اللغة. وسنتطرق في هذا الفصل الى نوع آخر من أنواع القدرة الكلامية وهو نمط استخدام الكلمات. ويتضمن نماذج التكلم الاربعة، صحة تلفظ الحروف، الكلمات الخاصة والعبارات ومضمون الحديث.

نماذج التكلم

ان التصور السائد مبني على أن النساء أكثر ثرثرة من الرجال ومن شأنهن التحدث هاتفياً أو وجهاً لوجه مع الأقارب والجيران والأصدقاء ساعات مديدة دون أية رغبة في الكف عن الكلام إلا أن الرجال في الحقيقة أكثر تحدثاً من النساء (تحقيقات اسواكير[١] ١٩٧٥). والمدهش ان الفتيات الشابات أكثر رغبة في الحديث من أقرانهن من الشباب مما يدل على تفوق قدراتهن الكلامية عليهم بينما يسجل الرجال تفوقاً في هذا المجال بين أترابهم من النساء في المراحل المتقدمة من العمر.

تشير الأدلة المتوفرة الى ان الرجال يحاولون مقاطعة النساء

---

1 _ Swacker.

أثناء تحدثهن كثيراً وتؤكد أبحاث مك مليان[1] وآخرون (١٩٧٧) ان الرجل يقدمون على مقاطعة حديث النساء خمس مرات إزاء مرة واحدة تقوم به النساء بمقاطعة حديث الرجال. وتقضي المرأة مدة أطول صامتة دون اعتراض على عدم التحدث. وتدل المؤشرات الكلامية الى وجود تباين بين الرجل والمرأة في هذا الإطار، فالرجال أكثر حديثاً وقدرة على مواصلة الكلام دون تريث ويقدمون على مقاطعة الآخرين أكثر من النساء.

صحة تلفظ الكلمات

تكون جهورية الصوت ملحوظة لدى الرجال أكثر من النساء والسبب في ذلك لا يعود الى أسباب عضوية أو اختلاف في شكل أو تركيبة الاوتار الصوتية بل الى اختلاف اللحن أو حركة الأوتار في وتيرة الصوت. إذ تغير المرأة لحن الكلام اثناء تحدثها بينما يبقى لحن الكلام ثابتاً لا يتغير عند تحدث الرجال.

الكلمات والعبارات

تؤكد بعض الأبحاث ان النساء أكثر استخداماً من الرجال للكلمات العاطفية المثيرة للمشاعر الطيبة. ومن هذه الكلمات: عزيزي ، مريح، مؤدب، محبوب و.. ويلتزمن الأدب عند التحدث أكثر

1 _ Mcmillan.

من الرجـال. بـينما يكـون الرجـال أكـثر اسـتعمالاً للاصـطلاحات وأحياناًللكلمات النابية كالسباب. وتبين أبحاث العقود المـنصرمة أن شخصية المتحدث وظروفه عند تحدثه هي أكثر العوامل تأثيراً فـي نوع الكلمات والعبارات التي تنساق على لسانه ولا تتدخل الجنسية في تعيين نوع الكلمات والعبارات المستخدمة إلا نادراً.

مضمون الحديث

يدور حديث النساء حسب اغلب التـحقيقات والاحـصائيات حول مشاعر الآخرين وأعمالهم أكثر منه في حديث الرجال بـينما يتحدث الرجال عن الاشياء والظروف المرئية أكثر من النساء، فعدد الرجال المتحدثين عن الأحداث كالوقائع الرياضية يزداد عن ثـلاثة أضعاف عدد النساء.

ويتشابه الجنسان كثيراً عند الحديث عن مـظاهر الاشـخاص، القضايا الجنسية، الدينية، السياسية، المالية والاجتماعية.

ولا تؤيد الأبحاث تحدث النساء عن الآخرين بما يسيىء اليهم أكثر من الرجال، والاختلاف إن وجد فيهذا المجال فـهو مـلحوظ بالكاد. وتذكر هذه الأبحاث ان ٧١٪ من النساء و ٦٤٪ من الرجال قد اعتادوا على مثل هذا الحديث المسيىء وبنفس النمط ولايـوجد فارق ملحوظ بينهم عند تحدثهم عن المواضيع المختلفة.

الارتباط غير الكلامي

يكفينا الإستغناء عن صوت التلفزيون والإكتفاء بمشاهدة صوره

الظاهرة علىٰ الشاشة لنتمكن من متابعة الاختلافات الجـنسية بـين الرجل والمرأة في مجال الارتباط غير الكلامي كالابتسامة، حركات اعضاء الجسم والهالة.

يعتقد أكثر الباحثين ان الطريقة غير الكلامية تكون على درجة أكبر من الأهمية (فرانسز[1] ١٩٧٩). وتقسم الاساليب غير الكلامية إلىٰ خمسة أنواع هـي: الهـالة، الوضـع الجسـمي، التـماس، تـعابير وقسمات الوجه، والقدرة على فك الرموز.

الهالة

الهالة هي الحيز غير المرئي الذي يحيط بالشخص ويتعرض فيه الإنسان الىٰ هجوم الآخرين ولا يشعر بوجوده إلّا عند إقتراب شخص منه بشكل يشعره بالانزعاج والاضطراب. ويختلف حجم هذه الهالة بين الرجال والنساء. وكذلك في المجتمعات المختلفة. وتحوز النساء علىٰ هالة أصغر من الرجال ولهذا يجلسن بالقرب من بعضهن أكـثر منهم وكذلك الأطفال يجلسـون بمقربة النساء دون الرجال. وأكدت أبحاث هال[2] عام ١٩٨٤ وجود إختلاف جنسي من حيث رعاية هالة الاشخاص من قبل الجنسين.

---

1 _ Frances.

2 _ Hall.

الوضع الجسمي

تظهر الفوارق الجنسية من حيث الوضع البدني منذ بداية حياة الإنسان ولفهم هذه الفوارق يكفينا مراجعة المجلات وإلقاء نظرة على الوضع البدني للرجال والنساء فيه، إذ تُطبق النساء رجليهن واعتدن وضع أيديهن على صدورهن عند الوقوف أو الجلوس والتمايل الى الجانب عند الجلوس بينما تكون أرجل الرجال متباعدة أو توضع إحداهما على الأُخرىٰ والايدي متقاربة ومستقرة على الرجلين عند الجلوس أو الوقوف. ان الوضع الجسمي للرجال عند الجلوس أو الوقوف يوحي لهم بالسكينة والإطمئنان أكثر من النساء، بينما يضفي الوضع البدني للنساء في هذه الحالات عليهن بشيء من التوتر والاضطراب.

وبتعبير آخر يرتبط الوضع الجسمي بهالة الاشخاص حيث يتمتع الرجال بهالة أوسع من الهالة التي تشغلها النساء عند الجلوس أو الوقوف. ويتأثر الوضع البدني كذلك بطريقة الإرتباط الكلامي أي ان الرجال بسبب تحدثهم باسلوب حُرّ ومقاطعتهم كلام بعضهم البعض أكثر من النساء فهم بحاجة الىٰ هالة كلامية أكبر مما تحتاجه النسوة. والوضع البدني الذي يمتاز به الرجل والمرأة يختلف من ثقافة لاخرىٰ. ويتبين من الصور ولوحات الرسم الشهيرة أن أغلب النساء في بعض المجتمعات يحنين رجليهن نحو أحد طرفيهن عند الجلوس بينما يحتفظ الرجال بعادة الجلوس برجلين متباعدتين عن بعضهما.

ويتسبب نوع الملابس التي ترتديها النساء في بعض الأحيان

في تباين حركاتهن وتمايزها عن حركة الرجال فالتنورة القصيرة أو الطويلة تعرقل مشي النساء، والاحذية العالية تـفرض عـلىٰ الكـثير منهن المشي باسلوب غير طبيعي. ان حركات اعضاء جسـم المـرأة والرجل تختلف في حالاتٰ اخرىٰ أيضاً. والرجال أكـثر رغـبة فـي التحرك وتغيير وضعهم الجسمي وفي التلاعب بالاشياء، من النسـاء اللواتي يحاولن الحفاظ علىٰ الهدوء والسكون أكثر من الرجال.

التماس

لم يثبت وجود أي إختلاف جنسي في مجال التماس اللمسي بين الرجل والمرأة، وقد لوحظ التناقض بين بيانات بعض التحقيقات في هذا المجال، لسببين: الاول: إن التماس اللمسي بين الاشـخاص غير متماثل وغير مرئي شأن الوضع البـدني. الثـاني: هـو ان طـرق التماس تتلاءم مع نوع ارتباط الرجل بالمرأة، مثل إرتباط خطيبين أو زوج وزوجة أو أم وابنها. ويعتبر العامل الثقافي أيضاً من العـوامـل الدخيلة في إيجاد التماس اللمسي كالمصافحة وغيرها وهي تختلف من بلد لآخر.

تعابير الوجه

تختلف تعابير وجه المرأة عنها في الرجل فالنساء يبتسمن أكثر من الرجال عادة وبنسبة إبتسامتين نسائيتين لكـل إبـتسامة رجـالية

حسب ما بينته معطيات الدراسات الجارية (راغان[1] ١٩٨٢) والتي تؤكد في الوقت نفسه ان إبتسامة المرأة لاتكون بشكل حتمي دليـل على سرورها أو إحساسها بـمشاعر عـاطفية وديـة. بـينما تـرتسم الإبتسامة علىٰ وجه الآباء عند تحدثهم مع ابنائهم حول مواضيع سارة وتبدو علامات الجد على قسمات وجوههم عند التحدث معهم حول قضايا عادية أو غير مريحة، بينما لا يتدخل مضمون حديث النساء في ظهور أي نوع من التعابير علىٰ وجوههن. ولهـذا لايـمكن فـهم الوضع العاطفي والعصبي للامهات من خلال تفحص تعابير الوجه، إذ أنهن يبتسمن حتىٰ في حالة عدم شعورهن بالسرور والإرتياح.

والإختلاف الآخر الذي يمكن ملاحظته بين تعابير وجه المرأة والرجل هو أن النساء يحدقن في عيني مخاطباتهن أكثر مما يـفعل الرجال مع أبناء جنسهم. وينظر الرجل عند التحدث الىٰ رجل آخـر الىٰ نقطة تعلو الاذن المقابلة بعدة سانتيمترات (هال ١٩٨٤).

القدرة على فك الرموز

في هذا الفصل تم حتىٰ الآن دراسة الاختلافات الجنسية التي تشمل الارتباطات غير الكلامية كالهالة، الوضع الجسمي و... وآخر موضوع سنتناوله في هذا الفصل هو قدرة النساء والرجال على فك الرموز ونعني بذلك القدرة على استشفاف مشـاعر الآخـرين بـعد

---

1 _ Ragan.

مشاهدة سلوكهم غير الكلامي. فكل من يتمتع بهذه القدرة يفهم بمجرد تمحصه في تعابير وجه، وضع جسم، حركات وكذلك صوت صديقه، ما إذا كان سعيداً أم حزيناً وكئيباً.

أثبتت أبحاث هال وعدد آخر من العلماء (١٩٨٤) ان قدرة المرأة على فك الرموز تفوق قدرة الرجال بكثير. ان النساء أقدر على إستقراء الانفعالات والمشاعر خاصة بعد تأمل تعابير الوجه أو سماع نبرات الأصوات. ويلاحظ وجود هذه الميزة لدى الإناث منذ المرحلة الابتدائية من الدراسة. وطبيعي ان اختلاف الجنسين من حيث ضعف أو قوة هذه القابلية لديهم يتذبذب في الثقافات المختلفة.

الاختلافات الفردية في طرق الإرتباط

ان الفروق الجنسية الموجودة في طرق الإرتباط غير الكلامي أكثر بكثير من غيرها من الاختلافات الجنسية، والرجال يواصلون الحديث دون تريث ويقاطعون حديث الآخرين أكثر من النساء بينما تبتسم النساء ويحدقن في أعين مخاطباتهن أكثر مما يفعل الرجال. ورغم هذا هناك بين صفوف الرجال والنساء من تتميز طرق ارتباطه بالآخرين بالحالات الرجالية والنسائية معاً.

إن اختلاف الجنسين واضح من حيث الإرتباط غير الكلامي مثل: حجم الهالة، وضع الجسم وحركاته، السلوك والتماس اللمسي، الرغبة في الإبتسامة والضحك، والقدرة على القراءة. ان اختلاف شرائح النساء فيما بينها من حيث هذه الخصائص واضح كذلك.

ان الحكم المستخلص من هذا البحث هو أن السلوك غير الكلامي لدى كل من المرأة والرجل طبيعي رغم تباينه بينهما وان من شأن الرجال تعلم الدروس والتدرب بهدف تطوير قابلياتهم في مجال السلوك غير الكلامي، خاصة القدرة على فك الرموز وتفسير تعابير الوجه وفهم مشاعر واحاسيس النساء.

الشخصية والسلوك الاجتماعي

الشخصية والسلوك الاجتماعي ثمرة من الثمرات التي تدرّ بها الثقافة والتربية على المجتمع والتي يجب مراعاة جانب الدقة عند طرحها لأن التباين الملحوظ في وضع هذين الامرين الاكتسابيين يكون غير واضح في المجتمعات المختلفة. وان هذا الاختلاف يشتد في الظروف التي تلقىٰ فيها الادوار الجنسية التقليدية، التشجيع إذ تتمسك النساء أكثر بالسلوك النسائي والرجال بالسلوك الرجالي عندما يكونان على علم بأن هناك من يتابع تصرفهم ويقرأ إجاباتهم.

ويقوم علماء النفس بدراسة موضوع الشخصية والسلوك الاجتماعي والفوارق الجنسية المتعلقة بهما بعد تقسيمه الىٰ اثني عشر باباً يخصان بابي التعاضد والقدرة منها بإهتمام بالغ. وسنتطرق لهما هاهنا باختصار.

١ ـ الخصائص المتعلقة بالتعاضد:

يقول غيليغان[1] في كتابه المعروف «صوت آخر» ان النساء

1_Gilligan.

يتحدثن بصوت متباين عن صوت الرجال وتتحدد مطالبهن بامور تختلف عما يطمح اليها الرجال ولكن صوتهن غير مسموع. ويرىٰ الرجال ان السلم الرتبوي وإعتلاء شأن البعض على البعض الآخر هو الذي يحكم علاقاتهم بالآخرين خلافاً للنساء حيث ترىٰ المرأة انها حلقة من سلسلة اواصر وارتباطات مهمة وان الحياة مبنية على اساس العلاقات والوشائج المتأطرة بإطار رعاية الآخرين والتعلق بهم وليست باتفاقيات موضوعة.

أ ـ نوع الالفة

والمقصود بها الإهتمام والرغبة في توفير الرفاه وتحسين أوضاع الآخرين بعيداً عن الاغراض والانانية وتتجلىٰ هذه الخصوصية في مظهر مساعدة المستحقين والمحتاجين. وتعد الأم بشكل عام الاساس والمظهر الاصيل للالفة والرغبة السامية فهي التي تقضي ساعات مديدة من أوقاتها في تنظيف البيت وإعداد الطعام، وتحرم نفسها في سياق هذه الالفة من الفرصة الكافية للتفكير برغباتها وطموحاتها.

ومع ذلك فان الابحاث لاتشير الىٰ وجود فوارق ملفتة للنظر بين المرأة والرجل في هذا المضمار بل أثبتت ان كلاً من الجنسين يبدي حسب قدرته وجدارته إستعداداً لمساعدة رجل مد يد العون اليهما (عند تعرض احد إطارات سيارته في الطريق الى العطب أو حدوث اصطدام في الطريق و...). والفارق الوحيد في الحالتين هو أن المساعدة عندما تأتي من جانب المرأة تستغرق وقتاً أطول. وتود

النساء أكثر من الرجال بمساعدة العجزة كالمكفوفين وهذا ما يـدل على ان مدى رغبة الرجال والنساء فـي التـعاضد يـتراوح ارتـفاعاً وهبوطاً حسب نوع العون المطلوب بذله ومحله وظروفه. فالرجـال أكثر إستعداداً لاغاثة الآخرين من النساء عندما يتطلب الأمر قـدرة جسمية أو جدارة رجالية. ويكون الفارق ضـئيلاً جـداً بـين المـرأة والرجل في حالة طلب النجدة بشكل مباشر منهما، وتـتقدم النسـاء على الرجال في رغبة الإعانة في حالات خاصة.

ب ـ الحنان والرأفة

ونعني بها رعاية الصغار والضعفاء، وتؤيد النظرة السائدة العامة إتصاف المرأة بهذه الميزة أكثر من الرجل إلّا أن الابحاث أثبتت نتائج متناقضة في هذا المضمار. وتمتاز الفـتيات الشـابات حسب بـعض الابحاث بضعف ما يمتاز به أقرانهم الفتيان من الحنان والرأفة تـجاه الاطفال الصغار. وتؤكد أبحاثاً اخرىٰ تشـابههما فـي هـذا المـجال، ويعتقد جمع من علماء النفس ان النسـاء يـجبن عـلىٰ إسـتفسارات الاطفال أكثر من الرجال وقد قام بيرمان[1] (١٩٨٠) بقياس إستجابة المرأة والرجل من ثلاث نواحي: بدنية (فيزيولوجية)، سلوكية وذاتية.

الاختبار الجسمي

تتماثل تقريباً الإستجابات البدنية لكل من الرجل والمـرأة إزاء

---

1 _ Berman.

متطلبات الاطفال واستفساراتهم كتوسع البؤبؤ، زيادة ضربان القلب واضطراب ضغط الدم.

الاختبار السلوكي

الاختبار السلوكي يعني تقييم سلوك الاشخاص في موقف معين. ويتبين من إختبار شمل (٢٧) امرأة ورجل، طلب اليهم مداعبة أطفالهم، ان النساء كن في ثلاث حالات فقط أكثر إستجابة من الرجال مع ابنائهم.

الاختبار الذاتي

كان الاختلاف الذي بينه اختبار ذاتي اجري للجنسين في مجال قراءة استجاباتهم لمواليدهم شاسعاً جداً، فتقارير النساء بينت استئناسهن وشغفهن باطفالهن أكثر من الرجال. ويؤكد بيرمان على وجود ارتباط بين الاستجابة للوليد والموقف الاجتماعي والبدني (الفيزيولوجي) لتلك الإستجابة. وتتشابه إستجابة الآباء والأمهات لابنائهن الرضع عندما يكونون بعيدين عن تأثير تفرج الآخرين ولكن النساء يتميزن عن الرجال بنهيجهن أكثر عند مداعبة الرضع. ومالاينكر ان الكيان العاطفي للمرأة متطبع بطابع الحنان وان طبيعتها هي التي تبلور هذه القدرة لديها أكثر من الرجال.

ج ـ التعاطف

وتعني مشاطرة الآخرين احاسيسهم ومشاعرهم وإنفعالاتهم، ويتم تعريف المتعاطف بانه من يشعر بالغضب، الفشل واليأس عند

مشاهدة هزيمة شخص في سباق ما مثلاً بنفس الدرجة التي يحس بها المتسابق ذاته. وبينما تمتاز النساء أكثر من الرجال بالخصوصيات العاطفية كالتعاطف حسب التصورات التقليدية العامة إلّا ان أبـحاث ايزينبيرغ(١) ولينون(٢) أثبتت نتائج معاكسة:

الاختبار البدني: ان الاستجابات البـدنية (الفـيزيولوجية) لكـلا الجنسين في مجال التعاطف مع الآخرين ومشـاطرتهم أحـاسيسهم تكون متماثلة إذ لم تثبت هذه الأبحاث وجود أي فارق بين الجنسين في مدىٰ إستجاباتهما البدنية كضربان القلب وضغط الدم عند التعاطف مع الآخرين.

الاختبار غير الكلامي: اعتمدت بعض الابـحاث الطـريقة غـير الكلامية اي متابعة تعابير الوجوه، نبرات الصوت وحركات أعـضاء الجسم في إختبار مدىٰ التعاطف، وفي اختبار أُجري لمجموعة مـن النساء والرجال في عمر الشباب، تبين خلال مـتابعة السـلوك غـير الكلامي لكلا الجنسين، عدم تمايزهما من ناحية مدىٰ ما يبديانه من تعاطف مع الآخرين.

الاختبار الذاتي: عند الاستفسار عن مدى التعاطف مع الآخرين في المواقف المختلفة تكون إجابات النسـاء مـتباينة عـن إجـابات الرجال وتدل على تقدم النساء على الرجال من هذه الناحية.

1_Eisenberg.

2_Lennon.

إذن لايكون الاختلاف ظاهراً بين الرجل والمرأة في مدىٰ تعاطفهم إلّا عند تحدثهم عن ذلك تلقائياً دونما يطرح عليهم سؤال في هذا الصدد.

د ـ الصداقة

تشير الأبحاث الى ان المحبة والعاطفية التي تمتاز بها النساء خلال علاقاتهن بالاصدقاء تفوق ماهي عليه في الرجال بينما تكون صداقات الرجال أكثر ترابطاً وعمقاً، وبناء على هذا أصبح دراسة الصداقات النموذجية من الابحاث الجديدة التي تم الاهتمام بها في العقود الأخيرة. وتتغير الفوارق الجنسية الملحوظة في نماذج الصداقة حسب العمر ونوع المسؤوليات المختلفة الملقاة على عاتق الشخص كلما تقدم به العمر. وتتشابه هذه النماذج بين العزب من الاناث والذكور تقريباً. ان عدد اصدقاء الرجال يزيد عن عدد صديقات النساء في مرحلة الشباب على العكس مما يكون عليه عددهم في متوسط العمر والشيخوخة. والفارق الاساس بين صداقة النساء والرجال يتحدد بنوع العلاقة حيث يكون الإنسجام وبث الشكوىٰ والمكاشفة[1] بين الصديقات أكثر بكثير منها بين الأصدقاء. وعن نمط قضاء الأوقات مع ابناء الجنس تبين ان النساء يرغبن بالتحدث الى صديقاتهن بينما يفضل الرجال الانهماك معهم في نشاطات مشتركة (كالرياضة، العمل و...).

---

١ ـ المكاشفة تعني مصارحة الآخرين بالشؤون الخاصة بالنفس.

الحكم

لم تثبت الادلة وجود فوارق جنسية بين الرجـل والمـرأة مـن ناحية تعاضدهم مع الآخرين بشكل عام بل ينحصر ظهورها ويتأثر مداها بنوع النشاط ومحله وظروفه. اما الحنان والتعاطف والإنسجام في الصداقة فان النساء يتصفن بها أكثر من الرجال. وفي الوقت نفسه تتشابه الصداقات النموذجية لكل من الجنسين إلىٰ حد بعيد.

٢ ـ الخصائص المتعلقة بالقدرة

سنتطرق عند دراسة القدرة والخصائص الجنسية المتأثرة بـها، الى انواع القـدرات المـختلفة، مـثل: الفـظاظة، الصـرامـة، التـنافس والزعامة.

أ ـ الفظاظة

يستخدم اصطلاح الفظاظة في تعابير ومـعان مـختلفة، ولكـننا نأخذ هنا الجانب والمضمون النفسي للفظاظة بالحسبان. إذ يرىٰ علم النفس ان الفظاظة أمر يتجاوز حد العنف البدني (الفيزيولوجي) وهو أوسع نطاقاً من الضرب والتعذيب الجسمي والمعاملة السيئة والإعتداء الجنسي. ويـعتقد مـوكّوبي وجـاكـلين (١٩٧٤) ان الفـظاظة تـتأثر بشخصية الانسان وسلوكه الاجتماعي، وتظهر فيها إختلافات جنسية واضحة.

وقد قسمت ابحاث عديدة، منها ابحاث فرودي[1] ومساعديه،

1 _ Frodi.

تباين الرجل والمرأة في درجة الفظاظة الى انواع ستة:

١ـ يعمد الرجال الى السلوك البدني الفظ أكثر من النساء ويكون الفارق بينهما شاسع في هذا المجال ويتبين ذلك خلال مايدلي به كلاهما من تصريحات بشأن الطموحات، الاهداف والطباع الخاصة بهم. ان كلا الجنسين يحاول وصف نفسه بما يتلاءم مع التصورات التقليدية العامة عن السلوك، في المجتمع والتي ترىٰ ان الفظاظة من الصفات الرجالية أكثر مما تكون نسائية.

٢ـ تتماثل آراء الرجال والنساء تقريباً حول الفظاظة والمزاح الجارح.

٣ـ ان النساء أكثر شعوراً من الرجال بالذنب والندم جراء مايصدر عنهن من فظاظة وهذا مايدعوهن لتجنب هذه الخصوصية ونبذها.

٤ـ النساء أكثر تعاطفاً مع ضحايا الفظاظة من الرجال نظراً لتفوقهن عليهم من حيث التعاطف مع الآخرين عند الشدائد.

بناءاً على هذا يكون السلوك الرجالي أكثر فظاظة من السلوك النسائي ولكن من شأنهن ان يكن أكثر منهم فظاظة عند شعورهن بالذنب أو بحاجة الآخرين لتعاطفهم.

اما عن الدوافع الجلية لتفوق الرجال على النساء من حيث اللجوء الى الفظاظة فقد طرحت اسباباً مختلفة تستند الىٰ اسس حياتية ووراثية (جينية) أو هرمونية. وتؤيد الابحاث تأثر الفظاظة بالعوامل الحياتية.

١ ـ رغم وجود الاستثناءات، تكون الحالة العامة لدى جميع الكائنات، امتياز الذكور بالفظاظة أكثر من الاناث (ابحاث موير[1] ووايت[2] ١٩٨٣) وتوصلت الابحاث الى هذه القاعدة خلال متابعة درجة الفظاظة في الحيوانات أولاً ثم تم تعميمها على بني الانسان أيضاً.

٢ ـ أثبتت بعض التحقيقات وجود علاقة بين الفظاظة والكروموسوم y والهرمون اندروجين الذكريين (موير ووايت ١٩٨٣)، الا انه لايمكن الاستناد الى هذه النتائج قبل التوثق من صحتها.

٣ ـ عند متابعة تصرفات الاطفال الصغار نرىٰ ان الفظاظة ملحوظة لدى الذكور أكثر من الاناث، إذ يلجأ الذكور الى العنف اثناء اللعب بوضوح.

٤ ـ ان دراسة الثقافات المتعددة أثبتت لجوء الرجال الى الفظاظة في كثير من البلدان أكثر من النساء.

ان جنوح الرجال الى الفظاظة وان كان يُعزى الى العوامل الحياتية إلّا ان من شأن المواقف اداء دور مؤثر في اصلاح هذه الخصوصية والاختلافات الجنسية الموروثة كظروف المعيشة والبيئة ونوع التعامل مع الطفل والاساليب التربوية المتبعة معه.

ب ـ الصرامة

---

1 _ Moyer.

2 _ White.

تعني الصرامة قدرة الانسان ورباطة جأشه عند المطالبة بحقه دون سحق حقوق الآخرين أي أنها تخالف الفظاظة تماماً. ان الفظاظة خلافاً للصرامة تتضمن الاعتداء على حقوق الطرف الآخر أيضاً.

ان الفتيات بشكل عام أقل إنفعالاً من البنين والبنين أكثر جنوحاً الى الفظاظة منهن. ويبدو أن نظرة الجميع تجاه الصرامة تزداد إيجابية بتقدم العمر وتحنك الاشخاص في خضم الحياة مما يلجئهم إليها كأفضل سبيل لتحقيق مآربهم. وتختلف درجة الصرامة لدى النساء والرجال حسب المناسبات والمواقف الحقيقية في الحياة ولكنها تكون لدى النساء بشكل عام أقل منه في الرجال. إنهن عرضة للانفعال أكثر من الرجال. ويختلف ابناء الجنس الواحد مع بعضهم البعض من هذه الناحية أيضاً. ان حصيلة الصرامة ليست هدامة كحصيلة الفظاظة بل انها بناءة ومثمرة أكثر من الانفعال.

ج ـ التنافس

تنص التصورات التقليدية الجنسية العامة علىٰ ان رغبة الرجال في التنافس هي أكبر من رغبة النساء. ولكن الأبحاث لاتؤيد هذا الرأي. ان مايزيد عن نصف الابحاث لم تشير الى وجود أي فارق بين المرأة والرجل من حيث الرغبة في التنافس بينما تؤكد الابحاث الاخرىٰ على اهتمام الذكور بهذا الأمر أكثر من الاناث.

الزعامة والادارة

يتعهد الرجال بتحمل قسم كبير من أعباء الزعامة والادارة علىٰ

مستويات شتىٰ في بلدان العالم حتىٰ في المجالات التي اثبت فيه كل من المرأة والرجل فيها جدارة متكافئة. ان الرجال ينهضون باعباء الزعامة والادارة بين مجاميع مختلطة من الرجال والنساء. ولا يعتد بالنساء في اغلب الأحيان عند إختيار المدراء إذ يتم تناسيهم في مثل هذه المواقف.

واعتقد أن المرأة إن ارادت الوصول الى قمة سلم النجاح، عليها ان تتحمل صعاب المواجهة بهدف إزاحة جميع الموانع والعراقيل عن دربها وبذلك تثبت للمجتمع مهارتها في تحمل مسؤولية الادارة أيضاً.

فما هو الفرق بين نمط الادارة النسائية والرجالية؟ لقد أكدت تحقيقات اسكيلسون[1] ومساعديه (١٩٧٦) انه لايوجد فارق يذكر بينها من حيث الزمان أو السرعة التي يحتاجها المدراء من كلا الجنسين لحل القضايا ولكنهما يختلفان في نمط الاساليب المتخذة لهداية المجموعة التابعة لهم، ويخصص المدراء من الرجال وقتاً أكبر لترسيخ موقعهم الإداري كتسديد النصائح الىٰ مرؤوسيهم بينما تخصص النساء جل وقتهن الاداري بهدف إعلاء روح التعاضد والمؤازرة بين اعضاء هذه المجموعة وحثهم على العمل. وتتخذ المديرات ـ اللواتي يتم اختيارهن لما يتمتعن به من جدارة ومهارات ـ اسلوباً وسطاً يجمع مستحسنات كلا الاسلوبين الرجالي والنسائي

ـ1 Eskilson.

بحيث يأتي عليهن بنجاح أكبر مما لو تتبع أي من الاسلوبين على حدة.

التشجيع والإقناع

من شأن الانسان ذي الشخصية القوية النافذة إقناع الآخرين بما يخالف معتقداتهم فهل هناك تمايز بين الاساليب المتبعة من قبل المرأة والرجل لاقناع الآخرين؟ لقد أثبتت نتائج تحقيقات جانسون[1] (١٩٧٦) وجود اختلاف بين هذه الاساليب من ثلاث نواحي، هي:

١ـ القدرة غير المباشرة والقدرة المباشرة.

تمتاز النساء بقدرتهن علىٰ إقناع الآخرين باسلوب غير مباشر والرجال بقابليتهم على تنفيذ هذا المهام باسلوب مباشر.

٢ـ العامل الشخصي والعامل العيني المحسوس.

تعتمد النساء في اسلوبهن الاداري على المؤثرات الشخصية كالاحترام، المحبة والتأييد بينما يستغل الرجال المؤثرات العينية كالمال، القوة الجسمية و...

٣ـ الاستغاثة والجدارة.

تلوذ النساء احياناً باسلوب الاستغاثة فعندما تواجه مشكلة عطب أحد إطارات سيارتها في الطريق تتكىء على السيارة بانتظار

1_Johnson.

الاغاثة وعلامات الحيرة تعلو قسمات وجهها، بينما يستفيد الرجال في مثل هذه الحالات من جدارتهم ومهاراتهم وإن كانت بسيطة.

إذن يتبع المرأة والرجل اساليباً مختلفة بغية تحقيق مآربهم، وتكون هذه الفوارق أكثر جلاء في نتائج التحقيقات التي اجريت بطريقة الاختبار الذاتي.

التأثر بالآخرين وضعف الارادة

ان قدرة بعض الاشخاص على إقناع الآخرين تستلزم ضعف إرادة البعض الآخر من الناس أيضاً. ويعتقد اخصائيو علم النفس الاجتماعي ان ارادة النساء أضعف من ارادة الرجال، وتدل الفوارق بينهما في هذا المجال علىٰ مؤشرات مهمة، فشخصية النساء أسرع تأثراً وتغييراً لآرائهن من الرجال عند تعرضهن لضغوط بقية افراد المجموعة، وتذكر التحقيقات الاسباب التالية لضعف ارادة المرأة بالنسبة للرجل:

١ـ تأثر النساء بادوارهن الانثوية، إذ عادة ما يتم تلقينهن بضرورة تنازلهن عن مواقفهن في بعض الظروف خلال عملية التكيف الاجتماعي بينما يتلقىٰ الذكور الدروس في حث الآخرين والتأثير عليهم.

٢ـ المكانة الاجتماعية: ان تمتع الرجل حسب النظرة التقليدية، بمكانة إجتماعية أعلىٰ شأناً من مكانة المرأة يفرض عليها الانصياع تجاه أوامر الرجل لان من حق ذوي المكانة العليا توقع سلوك خاص

كالطاعة من ذوي المكانة الدنيا. إن توجه المرأة نحو تحقيق التكافؤ الاجتماعي بينها وبين الرجل في الحياة اليومية يعني تـقليص مـدىٰ إنصياعها لأوامر الرجل.

* * *

الفصل السابع

التصورات التقليدية العامة في النظريات الجنسية

درسنا في الفصول السابقة حالات التشابه والاختلاف بين الرجل والمرأة بالتفصيل، وعلمنا ان الشعور بالثقة بالنفس لدى الرجال عند إحراز النجاح والتقدم في مجال ما يكون أقوىٰ مما هو عليه في النساء في مثل هذه الظروف. وإن التشابه بين الجنسين من حيث القابليات والقوىٰ الإدراكية والسلوك الاجتماعي يكون أوسع من اختلافهما من هذه النواحي. ويكون هذا التباين غير ثابتاً في الظروف والمواقف المختلفة وبهذا نلاحظ تداخل الخصائص الانثوية والذكرية في كثير من الحالات. وسنتطرق في هذا الفصل الى دراسة أمرين هامين:

١ ـ المرأة والرجل في منظار الفلاسفة ووسائل الاعلام.

٢ ـ التصورات التقليدية العامة حول النساء والرجال.

١ ـ المرأة والرجل في منظار الفلاسفة ووسائل الاعلام

أ ـ نظرة الفلاسفة الى المرأة

لقد تطرق الفلاسفة منذ القرون المنصرمة الى الحديث عن

المرأة، وخاصة مقارنتها مع الرجل رغم تجاهل وجودها في الكتب التاريخية، اننا عند مطالعة آراء الفلاسفة نجد ان الحط من شأن المرأة ظاهرة ليست حـديثة فـالفيلسوفان اليـونانيان المـعروفان، ارسـطو وافلاطون، على سبيل المثال، قد أدليا بآراء متناقضة حـول المـرأة. ويرىٰ ارسطو (٣٨٤ـ٣٢٢ قبل الميلاد) حسب نظرته الأكثر سلبية تجاه المرأة، أن شعورها بالدونية والإنحطاط يعود الى اسس حياتية تكوينية. إنه يعتقد أن النساء والأطفال لم يصلوا الى مرحلة التكامل من الناحية المنطقية والأصولية وهذا ما يفرض هيمنة الرجل عليهم وتحمله أعباء مسؤوليتهم ويوجب على المرأة إطاعة الرجل.

ويعتقد استاذه افلاطون (٤٢٧ـ٣٤٧ قبل المـيلاد) انـه يـجب تسليم سدة الحكم الى اشخاص نشأوا نشأة حسنة، امرأة كـانت أم رجل ومع ان النساء بشكل عام أقل جدارة وقابلية من الرجال إلّا ان بعضهن يتفوق على الرجال في نشاطات مـعينة. ومـن شأن المـرأة الذكية، الشجاعة، القادرة على مواجهة الوساوس والخـدع، النـجاح عند التصدي لمسؤولية الحكومة. ويقول الفيلسوف الالماني فريدريك نيتشه (١٨٤٤ـ١٩٠٠) ان للرجال حق المـلكية عـلىٰ النســاء وان رعايتهم لهن تدخل في إطار ضرورة محافظة الانسان على ممتلكاته. ويحتمل ان تنحصر النظرة الإيـجابية للـمرأة قـبل القـرن العشـرين بالفيلسوف جان استورات ميل الذي تأثر بزوجته في نظرياته كثيراً، وتنص نظرية ميل على ضـرورة اسـتمتاع المـرأة بـفرص وحـقوق متكافئة مع حقوق الرجل وان من حقها التمتع بحق ملكية أموالهـا،

وبحق الرأي، إكتساب العلوم واختيار المهنة المناسبة لها.

ب ـ المرأة في وسائل الاعلام

تتطرق وسائل الاعلام الى موضوع المـرأة والرجـل بـاساليب متنوعة. والمتابعون لقضايا المرأة علىٰ علم باهمية مكانة المرأة فـي وسائل الاعلام والتي تمتاز (حسب التصورات التقليدية) بالخصائص التالية:

١ ـ غياب المرأة: يكون حضور النساء في الدعايا التجارية التي تبث على شاشة التلفزيون والمطبوعة في الصحف أقل من حـضور الرجال وبمعدل النصف.

٢ ـ صوت النساء غير مسموع: عندما تكون المرأة غائبة وغير مرئية في أغلب الاحيان، يكون صوتها كذلك غير مسموع. ان وسائل الاعلام لاتبث صوت المرأة إلّا بمقدار نصف الوقت الذي تبث فـيه صوت الرجال.

٣ ـ لم تطرأ تحولات اساسية على طريقة طرح موضوع المرأة في وسائل الاعلام رغم إزدياد عـدد النسـاء العـاملات فـي المـهن المختلفة خلال السنوات الاخيرة، إذ تظهر المرأة في أكثر البـرامـج التلفزيونية في دور ربة بيت، وقلّ ما يتم الإشـارة الىٰ ادوار النسـاء العاملات. بينما ترغب النساء المتخصصات بتعرف المجتمع عـليهن عن طريق وسائل الاعلام.

٤ ـ تؤكد وسائل الاعلام عند التطرق الىٰ موضوع الاسرة على الدور التقليدي للنساء، لا الدور الحديث. وغالباً ما تشير المسلسلات

التلفزيونية الى خدمة المرأة للرجل وتجعل الرجل رمز القوة الذي يصدر للمرأة أوامره بما يرغب وينهاها عما لايشاء.

٥ـ صورة المرأة في وسائل الاعلام توحي بأنها إنسان سريع الانفعال، غير مستقل وقليل الذكاء، وتشير البرامج التلفزيونية الى إنحطاطية المرأة مقارنة مع الرجل.

٦ـ تلجأ وسائل الاعلام في المجتمعات الغربية الى استخدام جسم المرأة واعضائها بشكل متمايز عن الرجل بغية تحقيق مآربها من الدعايا التجارية والترويجية، وتحاول عن طريق وسائل التجميل واساليب الإغراء والتهييج الجنسي و... تلبية احتياجات الرجل ومطالبه بما يحط من مكانة المرأة، وتعمد الصحف والمجلات الى نشر صور للرجال تتركز على وجوههم بشكل يبين وقارهم وقوة شخصيتهم، وصور لكامل اجسام النساء يظهرن فيها وهن يقمن بإداء اعمال بسيطة لاتحتاج الى مهارات خاصة، وتبين أبحاث آرجر[1] ومساعديه ان الصور التي تركز على الوجه دون الجسم توحي بذكاء أقوىٰ وجاذبية أكبر وبنفس متسامية.

٧ـ تتحكم الاتجاهية والانحيازية بعملية تعريف المرأة (من مختلف العناصر والقوميات) في وسائل الاعلام التي تقدم النساء من العنصر الاسود على أنهن خدم للعرق الأبيض ولم تنجح وسائل الاعلام رغم التحولات العارمة التي اجتاحت هذه المجال، في رسم

1ـ Archer.

الصورة الحقيقية للنساء السود، أو أنها تصف المـرأة الشـرقية تـارة بذروة الهدوء والشعور بـالخجل وتـجعلها تـمـثالاً زجـاجياً سـريع التهشـم أو تنسب اليها الوحشيـة والهمجية تارة اخرىٰ.

من بواعث السرور أن مجتمعنا الاسلامي قد ابتعد كثيراً عن مثل هذه الاتجاهات والنظريات، ولكن لايُنكر أن مستوى الاهتمام الذي توليه رؤىٰ علماء ديننا سواء السابقين منهم أو المعاصرين للمرأة، لم يصل الحد المطلوب حتىٰ الآن. على أيـة حـال عـلينا ان نـعلم ان ماتعكسه وسائل الاعلام من صورٍ عن المرأة خاصة في العالم الغربي إنما تبين الحقائق المترسخة في تلك المجتمعات لاغير، والتي تعمد وسائل الاعلام الى التأثير فيها، بل تلعب دوراً في ظهورها وبلورتها، ومن شأن هـذه الوسـائل ان تـتلاعب بـالرؤىٰ والنـظريات والقـيم الشخصيةٰ السائدة أيضاً.

علاقة الرجل بالمرأة

كان للمرأة في الماضي البعيد دوراً مـصيرياً فـي المـجتمع، ان دورها في مجال الزراعـة، تـربية الحـيوانـات والدواجـن، الطـبابة، التدريس و... إلىٰ جانب ما كانت تقوم به من اعـباء الامـومة واداء شؤون البيت مازالت آثاره ظاهرة حتىٰ الآن. ان العامل الاساس الذي كان يثير الشعور بالاحترام والتقدير للمرأة هو مهارتها فـي إداء دور الامومة وإنجاب الأطفال، وهذا مافرض ظاهرة هيمنة الام على بعض المجتمعات. وبتقدم الحضارة البشرية وتـمكن الرجـل مـن صـناعة

الأدوات تسلم الذكور زمام القدرة التي أفرزت فيما بعد سن القوانين، وانساقت المرأة شيئاً فشيئاً للإنضواء الى حيز هيمنة الرجل وتحكمه بسبب ضعف قواها الجسمية وطغيان مشاعرها وعواطفها وآلىٰ الأمر ان تقبل أكثر النساء خطأً أنها أدنىٰ من الرجل وأنها بحاجة الى دعمه، وبالتالي كان هذا الاعتقاد المشبوه مدعاة لاهمال حقوق المرأة الحقيقية في الاسرة والمجتمع. ومع ذلك ظهرت في المجتمعات نساء عظيمات غيّرن بشخصياتهن الفريدة مصير الامم، مثل قدوة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام، بما أدته من دورٍ فذٍ في الدفاع عن حق زوجها الشامخ علي عليه السلام ، أو السيدة زينب عليها السلام بما تحملته من مسؤولية في إطار حمل لواء رسالة عاشوراء الخالدة. وقد شهد عالمنا المعاصر جدارة السيدة انديراغاندي للتصدي لحكومة ثاني أوسع بلد في العالم لفترة تجاوزت عقداً كاملاً، والنشاطات التي قامت بها كل من كورازون أكينو في الفلبين، بي نظير بوتو في باكستان، مارغريت تاتشر في انجلترا، ميلينا ماركوري في اليونان وتانسوتشلر في تركيا على أصعدة سياسية مختلفة مما أثبت مهارتهن في إداء هذه المهام. وعدد النساء الشهيرات اللواتي أختصت بهن جائزة نوبل في الفروع العلمية من امثال نادين كورديمر وتوني مارسيون و... ليس بقليل، كما سيظل نجم الشاعرة الايرانية بروين اعتصامي لامعاً أبد الدهر.

إذن كشفت النساء أينما فسح لهن المجال والفرصة الكافية، عن امتلاكهن مهارة تضاهي مهارة الرجال. لقد حان الأوان للرجال ليعترفوا بحقوق النساء الشرعية ويعرفوا أن نظام هيمنة الرجال قد

إنقرض وان قوام المجتمع المدني حسب تعبير الدكتور محمد خاتمي رئيس الجمهورية الاسلامية في ايران، قد ترسخ في ظل نظام سيطرة الأجدر.

علاقة المرأة والرجل في الاسرة

ان تحمل الرجل لمسؤولية توفير مستلزمات المعيشة وإدارة الشؤون المالية للاسرة يخوله السيطرة على المرأة في غضون الحياة الزوجية وضمن العلاقات العائلية، وكذلك النساء ذوات الدخل العالي يتمتعن بحظ أكبر من الاستقرار في الاسرة، والى جانب ماوهبته الطبيعة للرجل من قوىٰ بدنية أكبر فإن القانون يمنحه في بعض الحالات إمتيازات تؤهله للتقدم على المرأة فهو رب البيت وله حق إتخاذ القرار في القضايا العائلية الهامة. ويمكن تقسيم علاقة المرأة والرجل في الحياة العائلية حسب رأي پيلو[1] (١٩٨٣) الى ثلاثة أنواع:

العلاقات الزوجية في ظل الزواج التقليدي

يتمتع الرجل في الزواج التقليدي بقوة أكبر من قوة المرأة وبينما تقضي الزوجة أوقاتها بادارة شؤون البيت ويتعهد كلا الزوجين بأدوارهما الجنسية التقليدية، يوفر الرجل مستلزمات الحياة الاسرية. وقد لاتتشابه طموحات ومطالب الرجل والمرأة. وتتعهد المرأة باتخاذ

---

1 _ Peplaw.

القرارات المتعلقة بالشؤون الداخلية للبيت ورعاية الاطفال. أما القرارات النهائية بشأن قضايا العائلة المهمة فان الرجل هو الذي يقوم باتخاذها، في هذا النوع من الزواج تكون شخصية المرأة مطلوبة لما تمتاز به من خصائص نسائية كادارة شؤون البيت وبث السرور والاهتمام بجانب الترتيب والتجميل. إنها رمز الهدوء والشعور بالارتياح لزوجها وأبنائها.

الزواج الحديث

تتشابه حقوق الزوجين في هذا الزواج من حيث اتخاذ القرارات ويحق للمرأة في هذا النوع من الزواج العمل خارج البيت بتشجيع من الرجل أو بعد إعلان موافقته على الأقل. ويخرج هذا الزواج عن قاعدة الأدوار التقليدية لكلا الجنسين قليلاً.

ويقضي الزوجان أوقات فراغهما معاً في أغلب الأحيان وفي نشاطات متشابهة إلّا ان المرأة ماتزال في الزواج الحديث المسؤولة عن الشؤون الداخلية في المنزل.

الزواج التكافؤي

تتكافىء قدرة وسيطرة كل من الرجل والمرأة في هذا النوع من الزواج فهما يساهمان في كافة الاعمال المطلوبة لمواصلة الحياة الزوجية كادارة المنزل، رعاية الأطفال، العمل خارج البيت، النشاطات المتعلقة بقضاء أوقات الفراغ وتوفير الدعم المالي للاسرة

واخيراً إتخاذ القـرارات. ان المـتفوقين فـي الخـصائص النسـائية أو الرجالية المستاءين من الأدوار الجنسية التقليدية يفضلون هذا النوع من الزواج الذي يكون أقل انتشاراً من النوعين الآخرين حـتىٰ فـي المجتمعات المتطورة لأنه أقرب الى الطموحات منه الى الواقع.

ونلخص الحديث بان ثبات الاسـرة النـاجحة وسـعادة الزوج والابناء امور تتوقف على مدىٰ قوة شخصية المرأة ووعـيها الذاتـي نظراً لما يضمره كيان المرأة من قابليات ذاتية ومبدعة في إطار دورها العام كأم وزوجة، فهي الوحيدة القادرة علىٰ فـهم أهـم إحـتياجات زوجها وابنائها وتوفيرها لهم وهي المؤهلة لمشاركتهم همومهم ومدّ يد العون لهم في الصعاب وعند اضطراب أوضاعهم.

* * *

الفصل الثامن

الفوارق الجنسية والصحة النفسية

تشير الابحاث والتحقيقات الى طول عمر النساء بالنسبة للرجال رغم تعرضهن للاصابة بالامراض أكثر منهم، وسنتطرق في هذا الفصل لدراسة وتحليل الفوارق الجنسية في مجال الصحة النفسية وكذلك أسباب ظهور هذه الفوارق التي تعزىٰ بشكل عام الى عاملين منها، هما:

١ ـ العوامل الحياتية التكوينية: تتمتع النساء من الناحية الحياتية (البيولوجية) بظروف وأوضاع أفضل مما تتوفر للرجال.

٢ ـ العوامل الاجتماعية أو نهج الحياة: إذ يكون الرجال بسبب اسلوبهم في الحياة ونمط السلوك الرجالي أكثر عرضة للأخطار.

ويعد معدل الوفيات ومتوسط الأمل في الحياة لدى كل من الجنسين إنعكاساً للفوارق الجنسية الناجمة عن إختلاف المؤثرات الحياتية أو الاسلوب في الحياة. ويعتقد كثير من الكتّاب ان معدل الوفيات لدى النساء والرجال إنما هو مؤشر واضح لاختلاف نسبة إصابة الجنسين بالامراض أو الاضطرابات الجسمية العضوية، وتقسم

الفوارق الجنسية في هذا المضمار الى ثلاثة أنواع:

١ ـ الوفاة والأمل في الحياة.

٢ ـ الاصابة بالامراض.

٣ ـ نهج الحياة.

١ ـ الفوارق الجنسية في معدل الوفيات

ان تقييم الفوارق الجنسية في معدل الوفيات أي مقارنة معدل الوفيات في صفوف الرجال والنساء مع متوسط أمل كل من الفريقين في الحياة يبين ان حياة النساء أطول أمداً من حياة الرجال وبالتالي تكون نسبة المتقدمات في العمر في أكثر المجتمعات أكبر من نسبة المسنين من الرجال في تلك المجتمعات.

معدل الوفيات ومتوسط الأمل في الحياة

أشارت الاحصائيات الجارية في اميركا عام ١٩٨٠ ان عدد حالات وفاة الرجال هو ٧٧٧ حالة من بين مئة الف شخص بينما يكون عدد النساء المتوفيات بين هذه المجموعة من السكان ٤٣٣ إمرأة، أي ان معدل وفيات النساء هو نحو ٥٥٪ من معدل وفيات الرجال. ان هذا الاحصاء يؤكد كذلك ان متوسط الامل في الحياة لدى الرجال هو ٧٠ عاماً بينما تأمل النساء بطول عمر يناهز ٧٧,٥ سنة.

وللفتاة ان تعيش سبع سنوات ونصف سنة أكثر من الفتى وأن تأمل في حياة تعادل ١,١١ من طول عمره.

وتشير الابحاث التطبيقية والدولية في البلدان المتقدمة الىٰ ان عمر النساء أطول أمداً من عمر الرجال بنسبة ٧,٧ سنوات في أميركا و ٨,٥ سنوات في فنلندا و ٣,٥ سنوات في اليونان وكحد أدنىٰ ثلاث سنوات في الهند وسائر الدول النامية (تحقيقات ونغارد[1] ومساعديه ١٩٨٤).

٢ ـ نسبة الاصابة بالامراض

ان محاولة تقديم تعريف خاص للاصابة بالامراض أمر أصعب منه بالنسبة للوفيات لأنها قد تظهر نتيجة تحمل الآلام أو تنجم عن مرض واحد أو عدة أمراض. ويمكن دراسة هذه الحالات المزعجة من خلال الأوضاع التالية.

أ ـ البيان السلوكي: وتشمل الأعراض التي يبديها أو يدلي بها كل من الرجل أو المرأة عند الاصابة بالمرض.

١ ـ يختلف الجنسان من حيث فهم اعراض المرض، إذ أن النساء أكثر إنتباهاً للأعراض من الرجال لأنهن أكثر حرصاً للحفاظ علىٰ سلامتهن وأشدّ ولعاً لاكتساب العلوم الصحية، وقد يعود سبب ذلك الىٰ تعهدهن بمسؤولية المحافظة علىٰ سلامة العائلة لسنين طوال.

٢ ـ يختلف الرجال عن النساء في مدىٰ رغبتهم للتحدث عن أمراضهم والنساء يشكين الاصابة بالحالات المرضية أكثر من

---

1 _ Wingard.

الرجال. ودليل ذلك ربما يكون التعود على بذل إهتمام أوسع بتقارير النساء عن الوضع الصحي والحالات المرضية.

ب ـ السلوك المرضي

نعني بالسلوك المرضي، نمط إستجابة الشخص للأمراض، فالنساء أكثر تأثراً بالأمراض وإستجابة لمتطلبات الاصابة بها من الرجال وهذا مايدعوهن للبقاء في السرير عند الاعتلال رغم منافاة ذلك مع واجباتهن ومسؤولياتهن الاسرية.

ج ـ الاستفادة من الخدمات

تعمد النساء الى الاستفادة من الخدمات الصحية والعلاجية أكثر من الرجال، وإرتفاع نسبة النساء بين مراجعي المؤسسات الصحية والعلاجية ومراكز المشاورة الصحية تؤكد هذا الاستنتاج، ولا ننسىٰ هنا أن مراجعة مثل هذه المؤسسات باستمرار يعرض المراجعين للاصابة ببقية الامراض أيضاً.

د ـ سلوك الطبيب المعالج

تشير نتائج أبحاث أرميتاج[1] وآخرين الىٰ أن الاطباء (ومعظمهم من الرجال) يعتنون بمعالجة الرجال وبتشخيص أمراضهم بشكل أدق بينما يكتفون بتقديم العلاج غير الضروري والوقائي والوصايا للنساء، وأنهم أكثر إهتماماً بالجوانب النفسية للإصابة بالمرض عند معالجة النساء. إذن السلوك المرضي، الاستفادة من

---

1 _ Armitage.

الخدمات العلاجية وسلوك الطبيب المعالج من العوامل المؤثرة على نمط تعبير الشخص عن مرضه أو صحته.

٣ـ الفوارق الجنسية الملحوظة في نهج الحياة والصحة

يختلف السلوك والادوار الجنسية في الحياة لدى كل من المرأة والرجل. وقد تطرقت الاختبارات الذاتية التي استهدفت تقييم الادوار والسلوك، الى حالات التباين هذه، والتي تشمل: سلوك المرأة والرجل عند الزواج، الأبوة والأمومة ونوع المهنة. ولتوضيح معالم العلاقة بين نهج الحياة والتمتع بالصحة نشير هنا الى السلوك الاجتماعي لكل من الرجل والمرأة، فكلاهما يحاول إنتقاء الأفضل عند التفكير بالزواج أو العمل. كما أن نمط الحياة الزوجية ونوع المهنة تترك تلقائياً آثاراً مفيدة أو ضارة على صحة كل من الرجل والمرأة.

العوامل المؤثرة في نهج الحياة والصحة

الزواج

تشير الابحاث المتنوعة الى نسبة إصابة العزب بالامراض أكثر من المتزوجين، وترتفع هذه النسبة لدى الرجال، وكذلك معدل الوفيات فهو يرتفع بين العزب والمطلقين والارامل عما هو عليه بين المتزوجين.

ويتأثر سلوك كل من الرجل والمرأة بوضعه العائلي إذ تنتشر حالة التدخين بين المطلقين والمطلقات أكثر منها بين المتزوجين، وسلوك الرجال أكثر إستقراراً وثباتاً من سلوك النساء بعد الزواج (مثل

نمط الأكل، النوم، العمل والترفيه) وقلما يلاحظ سلوك خطير منهم، انهم يمتازون كذلك برغبة أكبر في الحفاظ على سلامتهم.

تبين الاحصائيات والتحقيقات ان الرجال من المتزوجين أكثر حرصاً للاستفادة من الخدمات الطبية من العزب، بينما تختلف الحالة عند النساء إذ تراجع المطلقات والارامل منهن المؤسسات العلاجية أكثر من المتزوجات.

الأبوة والأمومة

تفتقد المجتمعات المعلومات الخاصة بتأثير الابوة أو الامومة في صحة الرجال والنساء، إذ تؤكد نتائج الابحاث القليلة الجارية في هذا المضمار ان الامهات ينعمن بصحة أفضل بالنسبة للنساء اللواتي حرمن من نعمة الامومة، وان نسبة إصابة امهات الاطفال الصغار بالامراض ومراجعتهن للمؤسسات الطبية بهدف المعالجة أكبر من نسبة مراجعة امهات الاطفال من تلاميذ المرحلة الابتدائية لمثل هذه المؤسسات.

نوع المهنة

لايبدي اي من المؤشرات وجود صلة بين العمل وحده ومعدل الوفيات أو نسبة إصابة الرجل أو المرأة بالامراض. فالعاملات أكثر تمتعاً بالصحة من غير العاملات. وكذلك معدل الوفيات فهو يرتفع عند غير العاملات أكثر من مثيلاتهن العاملات.

وتعرض بعض المهن العاملين فيها الى الخطر أكثر من غيرها، ولهذا نجد أن النساء أكثر رغبة في الاعمال الوظيفية. وتؤكد الابحاث إزدياد نسبة الاصابة بامراض القلب لدى النساء العاملات في الاعمال الوظيفية وعند المدراء من الرجال. ومع سيادة ظاهرة إشتغال المرأة، مازالت أمراض القلب والعروق أكثر إنتشاراً بين الرجال.

وتشير نتائج التحقيقات الجارية مؤخراً حول علاقة نوع المهنة بالصحة الى إرتفاع معدل الوفيات بين العاملات من النساء. ان الوقوع في فخ المشاكل العائلية، التدخين خاصة في متوسط العمر وفي مرحلة الشيخوخة وكذلك التصرف بالنمط السلوكي (أ) ظواهر تعاني منها النساء العاملات أكثر من غير العاملات.

النمط السلوكي (أ)

تشير التحقيقات الى وجود إرتباط بين إصابة الرجال والنساء بامراض القلب والعروق وبين ظهور النمط السلوكي (أ) لديهم، وتكون النساء أكثر تأثراً من الرجال بهذا الإرتباط الذي يظهر لدى العاملين أيضاً أكثر من غير العاملين. فالسلوك (أ) أكثر شيوعاً عند الرجال منه لدى النساء وفي أوساط النساء العاملات منه لدى غير العاملات.

التدخين

أثبتت الأدلة تعرض سلامة الرجل والمرأة للخطر جراء التدخين حيث بينت الثحقيقات العلاقة بين التدخين وإصابة كلا الجنسين بانواع السرطان المختلفة وخاصة سرطان الرئة أو بامراض

القلب والعروق أو سائر الامراض المزمنة الأخرىٰ. إذن العلاقة وثيقة بينن صحة كل من الرجل والمرأة ونوعين من خصوصيات نهج الحياة.

أ ـ الادوار الاجتماعية: مثل الزواج، الابوة والامومة، ونوع المهنة.

ب ـ السلوك: مثل التدخين والنمط السلوكي (أ).

وهنالك ابعاد اخرىٰ من ابعاد نهج الحياة تتلاعب بمعدل الوفيات بين الذكور والاناث. وتثبت بعض الأدلة ان المؤثرات الحياتية تترك بصماتها الثابتة علىٰ معدل الوفيات منذ ما قبل الولادة والمرحلة التي تليها بشكل يبقىٰ واضح المعالم حتىٰ بعد تأقلم الشخص مع اساليب الحياة المختلفة. إذن إنتشار الصحة وتحسن اساليب الحياة تؤدي بشكل طبيعي الى إنخفاض معدل الوفيات وإرتفاع متوسط الأمل في الحياة لدى كلا الجنسين.

الاختلالات النفسية وحصيلة العلاج النفسي لدى النساء

تؤكد تقارير المركز الوطني للصحة والسلامة النفسية ان الامراض النفسية أكثر شيوعاً بين النساء من الرجال، وان نسبة مراجعة النسوة لمراكز العلاج النفسي والمستشفيات والمستوصفات النفسية أكثر من نسبة الرجال. وأكدت نتائج تحقيقات تشيسلر[1] ومساعديه ان النساء سجلن خلال السنوات المنصرمة العدد الأكبر بين مراجعي مستوصفات العلاج النفسي الجائل بينما شكل الرجال

1 _ Chessler.

العدد الأكبر من مراجعي المصحات النفسية والراقدين فيها.

ماهو المرض النفسي

الاختلال النفسي ظاهرة خاصة تضم اختلالات الشخصية (مثل الشعور بالإحباط، الاضطراب، الكآبة و...) وحالات التوتر النفسي (ومنها الشعور بالضياع واللاهدفية، ذهان الاسترخاء الفكري، الاسترخاء الحركي الوظيفي، وفي حالاتها المتأزمة التخيل والهذيان) أو خليط من هذه الحالات الناجمة عن أسباب عضوية أو عن التسمم بمواد خاصة (غوف[1] ١٩٨٠). وتقسم الاختلالات النفسية في الطب النفسي حسب هذا التعريف الىٰ الاختلالات العصبية والاختلالات النفسية الوظيفية.

الفوارق الجنسية في نسبة الاصابة بالأمراض

ذكرنا أن التحقيقات أثبتت خلال العقود المنصرمة إرتفاع نسبة إصابة النساء بالامراض النفسية ومراجعتهن مراكز العلاج النفسي الجائل عن نسبة الرجال.

وبينت مسوحات غوف الآخذة هذا التعريف بنظر الاعتبار ان ٣٤ تحقيقاً من بين ٣٥ تحقيق أثبتت ان نسبة إصابة النساء بالامراض النفسية ترتفع عن نسبة إصابة الرجال بها أي ان التباين لم يلحظ بين

---

1 _ Gove.

الجنسين إلّا في تحقيق واحد فقط. وقد استثنت هـذه المسـوحات المدمنين على الكحول والمخدرات حيث تم ادراجـهم فـي إحـصاء آخر إهتم بالظواهر العقلية لاختلالات الشخصية. بناء علىٰ هـذا، لو حاولنا تقديم تعريف أوسع وأعم للامراض النـفسية لتشـمل كـذلك الاضطرابات العقلية واختلالات الشخصية والسلوك الشاذ حيث يزيد عدد الرجال المصابين بها عن عدد النساء، سيكون الاختلاف آنذاك ضئيلاً جداً وملحوظاً بالكاد بين كلا الجنسين.

فـهل تـتحكم يـاترىٰ الانـحيازية والإتـجاهية بـالابحاث والتحقيقات التي تؤكد إرتـفاع نسـبة إصـابة النسـاء بـالاختلالات النفسية؟

للإجابة عـلى هـذا السـؤال نـقول: بـما أن عـواطـف المـرأة ومشاعرها مرهفة أكثر من عواطف الرجال ومشاعرهم فان المجتمع يكون على إستعداد لاتهامها بالاختلالات العاطفية وتهيج الاعصاب أكثر من الرجال. ويعد سرد المرأة لما تعاني منه من المشاكل النفسية أمر طبيعي. وهذا مازاد في رغبتها للاستفادة مـن خـدمات العـلاج النفسي أكثر من الرجال.

والتحقيقات تبين ان الاخصائيين السـريريين وعـلماء النـفس بشكل عام يرون ان النساء أكثر عرضة للإصابة بالأمراض النفسية، وانهم يتوقعون تعقلاً أكبر من السلوك الرجالي. وتشير الابحاث نفسها الىٰ ان عدد الراقدين في مستشفيات أو مصحات الأمراض النـفسية من الرجال بغية المعالجة من هذه الامراض أكبر من عدد النساء.

أسباب إرتفاع نسبة إصابة النساء بالأمراض النفسية

الأدوار الجنسية للمرأة والرجل في الحياة الزوجية

إن ارتفاع نسبة إصابة النساء بالامراض النفسية عن نسبة إصابة الرجال بها واختلاف نسبة إصابة الفئات المختلفة من النساء بها حسب أوضاعهم الاجتماعية الخاصة إنما يؤكد التأثير الأكثر فاعلية للعوامل الاجتماعية في ظهور هذه الحالة. فالنساء المتزوجات أقل تعرضاً لها من غير المتزوجات (العزب والمطلقات والارامل).

والنساء كذلك أكثر عرضة للاصابة بالكآبة حسب تحقيقات ويسمان[1] ومساعديه، والتي عزت إرتفاع نسبة إصابة النساء بالكآبة الى المؤثرات الوراثية (الجينية)، الوضع الاجتماعي، الاحداث والوقائع الصعبة والمريرة في حياتها، افرازات الغدد الداخلية، انفعالات ماقبل الدورة الشهرية، اقراص منع الحمل، والكآبة ما بعد الولادة.

وأثبتت التحقيقات أيضاً العلاقة الوثيقة بين الوضع الاجتماعي البائس الذي تعيشه بعض النساء بالدرجة الاولى والوضع العائلي بالدرجة الثانية من جهة وإرتفاع حالات الاصابة بالكآبة لدى النساء من جهة اخرى. ان استصغار المرأة المتزوجة لدورها واعتبارها هذا الدور دوراً زهيد الأجر، مملاً ومرهقاً يؤدي بهن في نهاية المطاف الى الاصابة بالكآبة. ويتحدد دور المرأة بعد الزواج بدورها الوحيد في

---

1 _ Wissman.

البيت بينما ينعم الرجل بمنهلين من بواعث السرور والشعور بالارتياح في مجال مسؤوليتيه الاسرية والمهنية. إننا نرىٰ أن عمل النساء يتحدد في اغلب الأحيان بمناصب أدنىٰ شأناً من اعمال الرجال، والمرأة العاملة تعاني عند قيامها بمسؤوليتها داخل البيت من ضغوط نفسية من قبل زوجها أو ابنائها. كل ذلك يؤيد صحة إرتباط إصابة النساء بالكآبة بوضعهن الاجتماعي خاصة بعد الزواج.

واخيراً نذكر هنا ان نتائج الابحاث والتحقيقات تبين ان تفهم حقيقة الفوارق الجنسية يؤثر بشكل جاد لاينكر في مدىٰ كلا الجنسين ببعض الأمراض والاختلالات النفسية. ان نسبة اصابة النساء بالاضطرابات العصبية وبالذهان المسي الاكتئابي ذات الطابع الاكتئابي المشترك أكثر من نسبة إصابة الرجال بها بينما يكون الرجال أكثر عرضة لاختلالات الشخصية ذات الطابع اللااجتماعي (مثل الفظاظة، الادمان، الانحراف الاجتماعي وغيرها). ولهذا علينا ان نغير استفسارنا عن الجنس الأكثر عرضة لعراقيل التطور وللصعاب في الحياة فنطرح سؤالنا بالشكل التالي: ماهي الظروف والتجارب التي يمر بها كل من الرجل والمرأة والتي تدفعهما للانحراف السلوكي أو الاصابة بالاختلالات النفسية والاجتماعية.

الاختلالات النفسية الخاصة

هناك ثلاثة أنواع من الاختلالات النفسية الأكثر شيوعاً لدى النساء. ان نوعاً واحداً من الاختلالات فقط يكون الرجال عرضة له

أكثر من النساء. وسنتناول بالبحث في هذا الفصل الاختلالات النفسية الخاصة وهي: الكآبة، اختلالات الرهـاب واضـطراب الشـهية عـند النساء، والادمان على الكحول والمخدرات لدى الرجال.

الكآبة

الكآبة نوع من الاختلالات النـفسية وهـو يـعرف بأعـراضـه العاطفية، الإدراكـية، السـلوكية والجسـمية (بـيك[1] وغـرينبيرغ[2] ١٩٧٤):

١ـ الأعراض العاطفية: الشعور بالحزن، بـالذنب، اللامـبالاة أو العجز عن استشعار اللذة والفرح.

٢ـ الأعراض الادراكية: الأفكار المنبوذة، فقدان الشعور بالقيمة، الإحباط، معاتبة النفس، التشاؤم، اضمحلال القدرة على التركيز.

٣ـ الأعـراض السـلوكية: أي تـغير السـلوك، يشـعر المـصاب بانحلال قواه وعدم قدرته على إنـجاز اعـماله اليـومية كـما يـهمل الاهتمام بمظهره الخارجي. ان اضطراب النوم، تقلص مدى العلاقات الاجتماعية ومحاولة الانـتحار (أحـياناً) مـن الأعـراض السـلوكية الاخرى لهذه الحالة.

٤ـ الأعـــراض الجســمية: تـنضم بـعض الاعـراض الجســمية كالصداع، سوء الهضم والآلام المنتشرة في أنحاء الجسم في بـعض الأحيان الى دائرة الأعراض الجسمية الناجمة عن الكآبة.

1ـ Beck.

2ـ Greenberg.

يذكر أن أي إنسان يتعرض أحياناً بحكم ظروفه المعيشية الى الشعور بالحزن والكآبة، ولكن اخصائيو العلاج النفسي لايؤيدون التمييز بين الكآبة الطبيعية والكآبة المرضية. ويعتقد جمع من علماء النفس أن العوامل الشخصية والاجتماعية أكثر تأثيراً في ظهور حالة الكآبة من العوامل الناجمة عن الوضع السكاني (مثل التربية والتعليم، الوضع العائلي ونوع المهنة).

ومن المسائل النفسية والاجتماعية التي يعيرها أخصائيو علم النفس الاهتمام للتأكد من الاصابة بالكآبة، هي:

١ـ بيان الملاحظات (مثلاً: إلىٰ أي مدى تشعر بقدرتك على التحكم بالاحداث التي تشهدها حياتك؟).

٢ـ الدعم الاجتماعي (مثلاً: كيف تقيّم مستوىٰ الدعم العاطفي الذي تتلقاه من أصدقائك؟).

٣ـ التطورات الملحوظة (مثلاً: ماهو مدىٰ إحساسك برقيك وتطورك في خضم الحياة؟).

٤ـ اشتقاق الشخصية (ماهو مدىٰ شعورك بالارتباط والتبعية لبقية اعضاء اسرتك؟). ان المرأة ذات الشخصية المشتقة معرضة للكآبة أكثر من قريناتها ذوات الشخصية المستقلة. إذن تتأثر سلامة المرأة النفسية بالتقييم الذي تبرز به شخصيتها ومكانتها، وتصاب ثلاثة من النساء بالكآبة إزاء إصابة رجل واحد بها. إذن تعتبر الكآبة من المشاكل الحقيقية التي تواجه المرأة. وتذكر اسباب مختلفة لظاهرة إرتفاع نسبة إصابة النساء بالاختلالات النفسية. وسنتطرق

لبعض منها هنا:

١ ـ إن اعلان الرجل عن غضبه وفظاظة سلوكه أمران مقبولان في المجتمع بينما اعتادت المرأة على كبح جماح مشاعرها الثائرة وبالتالي كبت غضبها وتعريض النفس للانتقاد واللوم، ويقترح انصار هذه النظرية تشجيع النساء للتعبير عن غضبهن عند شعورهن به تحرزاً من الإصابة بالكآبة.

٢ ـ اعتادت النساء على الاحساس بالإحباط المتعلَّم أكثر من الرجال، إذ ترىٰ نظرية الإحباط المتعلَّم ان هذا الاحساس عارض مهم من أعراض الكآبة ويصاب الانسان به متىٰ ماشعر بانعدام وجود صلة بين إجاباته والأجر أو العقاب الذي يحظىٰ به من قبل الآخرين. والنساء حسب رأي رادلوف[1] (١٩٧٥) وآخرون أكثر شعوراً بهذا الاحساس من الرجال عند مقارنة اعمالهن بنتائجها أي الحوادث التي تلي كل عمل من أعمالهن.

٣ ـ المرأة أقل شعوراً بالسعادة من الرجل (غوف ١٩٨٠)، وهي أسرع إصابة بالكآبة منه لأنها لاتحظىٰ بالأجر الكافي لعملها داخل البيت أو تعمل في منصب غير مرموق وغير لائق بها أو لأنها تحرم من فرص معاشرة الآخرين لامتلاكها اطفالاً صغار. ولهذا نرىٰ ان النساء المتمتعات بمكانة إجتماعية مرموقة أو بمؤهلات علمية أعلىٰ، أقل إصابة بالكآبة من الفريق الاول.

1 _ Radloff.

علاج الكآبة

يوصىٰ المصاب بـالكآبة الشـديدة بـتعاطي الأدويـة والعـلاج النفسي معاً بعد تعيين الظواهر المرضية للحالة بدقة. ومـن أسـاليب العـــلاج النـــفسي للـــنساء المـــصابات بـــالكآبة «الاســلوب السلوكي ـ الاستنتاجي» اي تنمية المهارات الاجتماعية وكسب اجور اجتماعية مناسبة من الآخرين مما يؤدي الى تخفيف حـالة الكآبـة لديهن. ويتم مساعدة الشخص المكتئب لتعلم طرق مواجهة المشاكل في الحياة وتشمل: إكتساب اسـاليب الارتـباط المـناسبة، التـعامل الاجتماعي، الصرامة والثقة بالنفس كما يتعلم المكتئب كيف يـمكنه مواجهة الافكار الشاذة والتخيلات الوهمية.

اختلالات الرهاب

ومنها رهاب الاسواق (ويـطلق عـلى الخـوف مـن الامـاكـن المفتوحة) والخوف الوهمي المتواصل من بعض الأجسام، النشاطات أو الظروف الخاصة. ان المصاب بالرهاب ورغم إطلاعه على عـدم وجود مسوغ يخوفه، تدفعه قوة غـريبة للابـتعاد عـن هـذا الظـرف المخيف. ويقسم الرهـاب الىٰ ثـلاثة أنـواع: الرهـاب الاجـتماعي، الرهاب البسيط ورهاب الأسواق.

١ ـ الرهاب الاجتماعي

هو الخوف الشديد من بعض الظروف والمواقـف الاجـتماعية مثل الخوف من التكلم أمام الآخرين أو تناول الطعام في المـطاعم.

ولايوجد أي فارق جنسي بين نسبة إصابة الرجل والمرأة بهذا النوع من الخوف.

٢ـ الرهاب البسيط

ويتضمن الخوف من بعض الأشياء أو الحيوانات. وتشكل النساء ٩٥٪ من المصابين بهذا النوع من الخوف ويعود تاريخ الاصابة به في اغلب الاحيان الى عهد الصبا. ويمكن التخلص من هذا الاحساس عن طريق العلاج النفسي.

٣ـ رهاب الاسواق (رهاب الاماكن المفتوحة)

ويضم حالات كالخوف من ترك الدار. وهي حالة مستعصية نوعاً ما ويكون ٨٠٪ من المصابين بها من النساء. وتظهر لديهن في أغلب الاحيان بعد عدة سنوات من الزواج، ولم يتم التوصل الى دليل واضح لظهور هذه الحالة حتىٰ الآن. وتخاف هؤلاء النساء من الاماكن المفتوحة، الازدحام، الجسور، الانفاق، المصاعد والطرق الخارجية، مما يحولهن رويداً رويداً الى اشخاص شديدي الانفعال تابعين لغيرهم. ان علاج هذه الحالة صعب وطويل الأمد وأفضل اسلوب لعلاجها هو مزج العلاج الدوائي (استعمال الادوية المضادة للكآبة) بالعلاج النفسي (اجبار المصاب للاستقرار في الوضع الذي يرهبه).

اختلالات الشهية

١ـ إنعدام الشهية النفسي

تشكل النساء ٩٥٪ من المصابين بانعدام الشهية النفسي. وتظهر

هذه الحالة في الفترة بين الثانية عشر والثامنة عشر من العمر وتصاب به فتاة من كل ٢٥٠ فتاة. وتتميز أكثر المصابات بها باندفاعهن لتحقيق طموحات سامية. ولم يتم تعيين الأسباب الحقيقية لظهور هذه الحالة أو زمان الاصابة بها بدقة حتىٰ الآن. ولكن الابحاث تبين أن الاصابة بها يتزامن مع تأقلم هؤلاء الاشخاص مع ظـرف أو مـوقف جـديد كالالتحاق بالجامعات أو الزواج، فيحاولون وأكثرهم ممن يعانون من السمنة نوعاً ما، تخفيف وزنهم عن طريق إتباع برنامج غذائي خاص ولكن يؤول بهم الأمر الى إتباع نظام غذائي قاس بغية الاسراع فـي تحقيق مآربهم.

ومن اسباب وخامة هذا الاختلال هو أن الموت يبتلع نحو ١٥٪ من المصابين به (فون بوسكيرك[1] ١٩٧٧). ويتم معالجة هذه الحالة بأشكال مختلفة وبمزج اساليب علاجية متنوعة مثل الدراسة النفسية، العلاج النفسي، التأثير السلوكي. ويظل المصاب المعالَج حـتىٰ بـعد معالجة ظاهرة السمنـة لديه واستعادة وزنـه الطبيعي في حالـة قلق مستمر إزاء وضعـه البدني.

٢ ـ السعار (الضَوَر)

يتناول المصابون بهذا النوع من الاختلال طعاماً يحتوي عـلى ٥٠,٠٠٠ سعرة حرارية يومياً وتزداد السكـريات والاغـذية الثـرية بالسعرات الحرارية في مأكولاتهم. انهم يلتهمون الطعام ويواصـلون

---

1 _ Von Ruskirk.

الأكل حتىٰ اصابتهم بأوجاع شديدة أو ايقافهم عند حد معين عن الأكل أو تقيؤهم لما تناولوه (جميعة الطب النفسي في اميركا ١٩٨٠). وتكون الكآبة حصيلة اصابتهم بهذه الحالة التي تنتشر بين النساء من الشابات وطلبة الجامعات في أميركا (بنسبة ١٠٪).

والسُعار (الضَوَر) لايهدد حياة الإنسان في الحالات الطبيعية إلّا انه يسبب في بروز اضطرابات طبية معقدة لدى الانسان كاختلال اعمال الكليتين والامعاء أو صعوبة البلع وتلف الأسنان.

وتشعر ثلاثة فئات من المجتمع بالقلق إزاء أوزانهم وأكثرهم من النساء.

الفئة الاولى: المصابون بالسمنة، وتسعىٰ هذه الفئة لتخفيف وزن ابدانهاولكن دون جدوىٰ.

الفئة الثانية: المصابون بانعدام الشهية النفسي. ويحالف هذه الفئة النجاح في سياق تخفيف أوزانها وإن آلىٰ الأمر ببعضهم الى الوفاة.

الفئة الثالثة: المصابون بالضور، وهؤلاء في صراع دائم بين الشهية المفرطة واتباع برنامج النظام الغذائي الخاص بتخفيف الوزن.

الادمان علىٰ المخدرات والكحول

تعتبر هذه المشكلة من المشاكل الخاصة بالرجال وقلما تقع المرأة فريسة لها. وتكون الاختلالات الناجمة عن تعاطي هذه المواد

شديدة جداً حيث تؤدي الىٰ تشويش الحياة الطبيعية للمدمن. وينتهي الامر بهم عادة الى الاصابة بالاحباط النفسي أو التعرض لحوادث السيارات أو الاصابة بالكثير من الاضطرابات والامراض. ان النساء بشكل عام أكثر رغبة من الرجال في معالجة مشاكلهن الطبية بتعاطي الادوية المقبولة من قبل المجتمع كالمهدئات بينما يميل الرجال الى تعاطي الكحول والمواد الطبية غير القانونية. ان تعاطي الكحول من الامور السائدة بين كل من الرجال والنساء في البلدان الصناعية أو ما تسمىٰ بالمتقدمة ولكن نسبة تعاطيها من قبل الرجال أكبر منها في النساء اللواتي يتعاطينها خفية في اغلب الاحيان. وتكون نسبة الرجال ممن يدمنون على المخدرات كالهيروييين، الكوكايين، الماريجوانا والحشيش والمواد التي تبعث على التخيل والإنشراح في هذه البلدان ضعف نسبة النساء المدمنات عليها.

ولكن المشكلة تكمن في وجود العراقيل الاجتماعية التي تجعل تخلص المرأة من هذه الورطة أمراً أصعب بكثير من تخلص الرجل منها. ان المرأة مضطرة لكبت الآثار الجسمية والنفسية الناشئة عن تعاطي هذه المواد ولابد لها من جهة اخرىٰ ان تكافح من اجل استعادة مكانتها في المجتمع بعدما تثبت خواء الآراء الاجتماعية السلبية بشأنها، ان ابناء جميع المجتمعات يشاطرون النساء المصابات بالكآبة، الرهاب وكذلك انعدام الشهية النفسي المفرط آلامهن أكثر من تعاطفهم مع النساء المدمنات على الكحول أو الأدوية والمواد غير القانونية.

وصايا في إطار العلاج النفسي للمرأة

يهدف العلاج النفسي للنساء الى مَدّ يد العون لهن من أجل اكتساب المهارات وتعلم الفنون بغية إستعادة سلامتهن النفسية بأسرع مايمكن. ويصف اخصائيو علم النفس المرأة المتمتعة بسلامة النفسية بانها تمتاز بـ:

١ ـ احترام مكانتها كأنثىٰ والاحتراز عن الحط من شأن نفسها لكونها من العنصر النسائي.

٢ ـ السلوك المتلائم مع مكانتها النسوية والظروف التي تعيشها.

٣ ـ محاولتها الثنائية للرقي والتسامي العاطفي، الاجتماعي والاقتصادي وكذلك السير قُدماً نحو الاستقلال والاكتفاء الذاتي.

٤ ـ المساهمة في النشاطات الشخصية والاجتماعية بغية توطيد علاقاتها الودية مع الآخرين.

٥ ـ الاتجاه نحو ترسيخ الحقائق والابتعاد عن الانفعالات المفرطة في مجال تقبل الذات والآخرين والحياة الواقعية.

٦ ـ الاعتراف بالفوارق بنفس درجة حالات التشابه، ووضع التنوع محل التحجر في نهج الحياة.

٧ ـ الحفاظ على كيانها من الوقوع ضحية للآخرين وعدم

السماح للغير بجعلها ضحية له.

٨ـ التلذذ من مشاعرها وإثبات قـدرتها فـي إطـار احـتفاظها بالحيوية والنشاط.

٩ـ عدم الخوف من المخاطر والإبتعاد عن الانفعال المفرط عند النجاح أو الفشل.

* * *

الفصل التاسع

الامومة: إنفعالات ومكافآت

الامومة مصطلح يعيد لاذهان جميع الناس تقريباً تصوراتهم عن مظاهر المشاعر والانفعالات الطيبة مثل: الدفء، المحبة، الحنان، التحمل، الصبر، الاحساس بالمسؤولية، الايثار و...، ويرسم تلقائياً في مخيلتهم صورة رائعة تتلخص فيها كافة الحسنات.

يعتقد العلماء ان الامومة هي أكثر الغرائز طبيعية، ورغبة كل امرأة باكتساب شأن الامومة أمر غريزي، وامتلاك الأطفال من أسمىٰ طموحاتهن، ان المرأة لاتستشعر معنىٰ أنوثتها أو تحقق كمالها وتنعم بصحتها بشكل كامل إلّا بعد جلوسها على أريكة الامومة. فالمرأة معدة غريزياً لرعاية الوليد. وقد أقر الله سبحانه وتعالىٰ محبة الابناء في اعماق قلب الامهات منذ خلقهم.

لقد استأنست كافة المجتمعات ومختلف الثقافات المتنوعة بمفهوم الأمومة وايقنت مدىٰ عظمتها، وتكنّ المجتمعات الشرقية منها والغربية، السود والبيض على السواء، الاحترام البالغ لدور الامومة الجليل. ويرافق الامومة التقليدية أحياناً تبعات متناقضة مثل السوء

والحسن، الانفعال والمكافأة، حيث تعد الام إنساناً شديد الاضطراب والقلق والاستبداد أيضاً.

حقيقة الأمومة

ان تغير القيم في المجتمعات الغربية وبعض المجتمعات الشرقية أيضاً أدىٰ الى تغير الموازين وبالتالي انعدمت الصلة بين المال، القدرة، والنجاح من جهة ورعاية الأطفال من جهة اخرىٰ مما حرم الام من التشجيع والثناء اللائق بها.

ولمعرفة حقيقة الامومة لابد من تعيين نوع الضغوط النفسية ومصادر الضغط النفسي التي تواجه المرأة بدقة وسنشير هنا الى بعض هذه الضغوط النفسية:

١ ـ ان مسؤولية رعاية الأطفال تقع بشكل عام على عاتق الام. وإن ساهم الرجل معها في إداء هذه المهمة إلّا أن رعاية الأطفال الصغار أمر لايتعهد به غير الأم.

٢ ـ تعد رعاية الاطفال من المهام المثيرة للتوقعات والمرهقة التي تستغرق طوال الليل والنهار.

٣ ـ لم تتلق أكثر الامهات الشابات التعليمات الكافية حول وظائف الأم ولهذا يعبر أكثرهن عن عدم جدارته لتحمل هذه المسؤولية.

٤ ـ الامومة عمل ينجز في داخل البيت مما يقلص فرصة الام

للاختلاط بغير الأطفال ويصل الأمر بـامهات الاطـفال الصـغار الى الانعزال والانزوائية.

٥ـ تحرم الأمهات العاملات بعد ولادة أطـفالهن مـن مـصادر تعزيز شخصياتهن.

٦ـ البكاء دون مبرر لساعة ونصف الساعة أو لمدة تتجاوز هذه الفترة، من طـباع الأطـفال حـديثي الولادة. وهـذا مـا يـصيب الام بالارهاق ويثير أعصابها.

٧ـ تعاني الأم عدة أيام أو عدة أسابيع بعد ولادة الطفل من آلام بدنية شديدة.

٨ـ ان تركيز محور عناية الأم عـلى الطـفل الوليـد دون الأب وسائر الأطفال قد يشعر بقية اعضاء الاسرة بإهمال الام لهم مما يزيد من شعور الأم بالذنب.

٩ـ أن أكثر أعمال الأم وخاصة في الاشهر الأولى مـن عـمر الوليد مرهقة ومتكررة مثل استحمام الطفل، إطعامه، إلجائه الى النوم وتبديل حفاظاته.

ورغم ما تتحمله الام من مشاق الامومة الى جانب القيود التي تفرضها هذه المهمة عليها، إلّا أن الامـومة تكـون مـصحوبة كـذلك بمسائل إيجابية مجزية ومُرضية لها، إضـافة الى مـا يـمنحه الابـناء للابوين من مشاعر طيبة تثري شخصيتهم وتـطورها. والأم بـدورها تكون اسوة عملية تعلم ابناءها درس التـعاضد والمـؤازرة، المـحبة

والالفة، المرونة، الاخلاص والتعاطف. لاريب ان الامومة وإن كانت غير كافية لإغناء متطلبات تكامل المرأة ولكنها من أهم، أسمىٰ وأطفح تجارب حياة المرأة بالمعاني والملذات.

ان شعور الام بالسرور والافتخار عندما تجد هذا الانسان الصغير الكامل الذي كان في يوم ما قطعة من بدنها، يتغذىٰ من دمها ويترعرع في إحشائها، غدا يتنفس دون معونتها ويحيا على انفراد، شعور لايوصف. ويبدأ الطفل بعد ولادته مباشرة بمد جسور الارتباط مع أمه والمحيطين به باساليب حسية بديعة وصامتة. وليس بمقدورنا إنكار حلاوة اللذة المستوحاة من رؤية ابتسامة الرضيع أو مشاهدة ارتباطه مع الكبار وخاصة الام عن طريق الملامسات وإصدار الأصوات الخاصة أو تكلمه معهم فيما بعد. لاريب ان الابعاد اللطيفة والسارة للامومة متنوعة وكثيرة ومن المؤسف جداً ان المجتمعات لم تشحذ هممها للتقليل من الابعاد السلبية المؤذية لهذا الدور العظيم بأساليب مبتكرة. ويترك نمط علاقة الزوجين ببعضهما قبل ولادة الطفل، آثاراً عميقة على منحىٰ سلوك الأبوين مع الطفل بعد ميلاده. فيرىٰ الزوجان اللذان يتمتعان بعلاقات وطيدة ان الامومة والابوة وتجاربهما ملذة ومفيدة. وتدب الام بشكل خاص عند شعورها بهذا الوضع لتأمين إحتياجات الطفل بما أوتيت به من حرارة وحيوية ومحبة. ان خلافات الزوجين تترك آثاراً سلبية في سياق تحمل مسؤولية رعاية الطفل وإداء الاعمال المنزلية، وتسلب الام فرصة الشعور باللذة والارتياح جراء تعهدها بهذه المهام.

الاسرة، مؤسسة إجتماعية

الاسرة مؤسسة إجتماعية تقوم دعائمها على زيادة، نمو وتكامل اعضائها وفقاً للموازين الثقافية والاجتماعية والتغييرات البيئية. وتبقىٰ قواعد هذه المؤسسة الراسية علىٰ اساس زواج المرأة والرجل قائمة حتىٰ انفصالهما بالطلاق أو بموت أحدهما. ويتعهد كل عضو من اعضاء الأسرة حسب العمر، الجنس، نوع إنتسابه لها بدور ومسؤولية خاصة. وتهدف الاسرة الى تأمين الاحتياجات البدنية والنفسية للاعضاء وتأهيلهم لولوج المجتمع وتحمل المسؤوليات الاجتماعية. وتتغير في اعقاب حمل الزوجة للمرة الأولىٰ الأدوار العائلية ونوع العلاقة التي تربط الزوجين. وتتأثر هذه الظاهرة بالمؤثرات النفسية ـ الاجتماعية والبيئية كالعلاقة الزوجية، مشاعر الزوجة تجاه عملها ومهنتها (إن كانت عاملة) ونظرتها للحمل. ويتأقلم الزوجان مع أدوارهما الجديدة شيئاً فشيئاً بعد ولادة الطفل وتعرضهما للضغوط النفسية التي ترافق الأبوة أو الأمومة في مراحلها البدائية. وهذا ما يسبب إصابة عدد من الامهات بالكآبة بعد الولادة.

ومن عوامل تعرض الآباء والامهات لهذه الضغوط ضيق ذات اليد، القيود الشخصية وحتىٰ إنقطاع العلاقات الزوجية آنياً. ان تحمل الأم عناء المسؤولية الاساسية في إطار رعاية الأطفال وإدارة شؤون هذه المؤسسة العائلية، يعد من بواعث إرتياح الامهات الشابات. ويقاس مدىٰ رفق الزوج بزوجته ومؤازرته لها بدرجة تفهمه لها وبذله العون الجسمي والعاطفي والنفسي لها في هذه الاوان.

الزوجان والعلاقات الاجتماعية

يتوقف نجاح الزوجان في تشكيل العلاقات الاجتماعية مع الآخرين -الاقارب والاصدقاء وغيرهم- على نجاحهما في علاقاتهما الزوجية بسبب تأثر الادوار والعلاقات الاسرية الداخلية منها والخارجية بعضها ببعض. وتلعب العلاقات الاجتماعية السليمة دوراً أساسياً وحياتياً في توفير الصحة والسلامة النفسية للانسان. ونذكر هنا ان درجة التأثر بمردودات هذه العلاقات تختلف لدى كل من المرأة والرجل.

الصداقة وتباين أشكالها لدى المرأة والرجل

الصداقة مفهوم يختلف في نمط تجسيده كل من الرجل والمرأة. إذ تقوم العلاقة بين الرجل وأصدقائه في اغلب الحالات على أساس تجاربه ونشاطاته المشتركة معهم. بينما تعتبر المساعدة والعون المتبادل، المؤازرة العاطفية والنفسية والاخلاص دعائم علاقات المرأة بمثيلاتها. إذن تتحدد صداقات الرجل بمجالات معينة من حياته ولكنها تتعمم لدى النساء لتشمل جميع مجالات الحياة.

وتؤيد هذه الفوارق الى جانب مدىٰ اجتماعية كل من الجنسين الفرضية القائلة بان الرجال يخفون مشاعرهم وافكارهم الشخصية عن أصدقائهم.

ان الرجل بشكل عام أقل رغبة من المرأة في تعميق علاقاته مع

اصدقائه كما تودّ المتزوجات بث شكاويهن لصديقاتهن أكثر من العزب بينما تلقىٰ الصداقة اهتماماً خاصاً من لدن الرجال بعد تقدمهم في العمر. وتؤكد التحقيقات أيضاً ان الفئة الاجتماعية التي تنتسب اليها المرأة من أهم العوامل التي تحدد نمط علاقاتها مع الصديقات.

ان مدىٰ إحتفاظ المرأة والرجل بعلاقاتهما مع اصدقائهم الى جانب العلاقات العائلية مع بعضهما البعض ومع ابنائهما لايترك آثاراً كبيرة على بلورة شخصيتهما الاجتماعية فحسب بل يساهم في تعيين مسيرة حياتهما الزوجية أيضاً.

فوارق الشخصية بين الرجل والمرأة

يتمايز الرجل والمرأة، كما قيل في الفصول السابقة، عن بعضهما من حيث مميزات شخصية كل منهما ويكون تنوع شخصيات أبناء الجنس الواحد جلياً أكثر من الاختلافات الملحوظة بين الجنسين. ويزيد اختلاف الحالة الاجتماعية لكل منهما فجوة هذه الاختلافات عمقاً، فالرجال بشكل عام أكثر فظاظة وثقة بالنفس والنساء أهدأ طبعاً وأكثر تأثراً بالعواطف وإستعداداً لبذل الاعانة للآخرين أو الاستسلام أمامهم. وتكشف المرأة بعد إكتساب مهارات التكييف الاجتماعي، عن استقلال شخصيتها في مجال تكوين العلاقات. وهي تحدد الموازين الاخلاقية بإطار الرعاية والاهتمام والمسؤولية. بينما

ينظر الرجال بعد مرحلة التكيف الاجتماعي الى إستقلالهم بـمنظار الحفاظ علىٰ أهدافهم الشخصية، والى الاخلاق بمنظار الحق والعدالة. وتتأتىٰ للأبوين فرصة للتسامي والرقي من خلال الالتزامات التي تتطلبها مسؤوليتهما في سياق اعداد الأبناء لنيل النجاح في مرحلة ترويض الشخصية في المراحل التالية من العمر.

* * *

الفصل العاشر

العنف ضد النساء

ماهو العنف؟

لقد تم حتىٰ الآن تقديم تعاريف مختلفة عن العـنف. وأرىٰ أن العنف في حيز علم نفس المرأة يعني تعريض المرأة للضرب والسب وسائر أنواع الاعتداء أو التعذيب النفسي والتي تتأطر بأطر متنوعة في مراحل حياتها المختلفة.

وأشار اعلان منظمة الامم المتحدة إلىٰ انواع العنف ضد النساء كما يلي، وإن كان العنف في الحقيقة لايتحدد بهذه الحدود (يونسكو ١٩٩٤):

أ ـ العنف الجسمي، النفسي والجنسي الذي تتعرض له النساء في العوائل مثل: الضرب، إغتصاب الفتيات في البيت، العنف في سـياق اعداد جهاز العروس، الاعتداء الجنسي ضد النساء، خـتان الفـتيات والنساء وسائر الاعمال التقليدية الاخرىٰ التي تلحق الاذىٰ بالاناث.

ب ـ العنف الجسمي، النفسي والجنسي الذي يشـهده المـجتمع كالاغتصاب، التهديد، الإفزاع، التحقير في محل الدراسـة أو العـمل

وكذلك جرّ الفتيات والنساء للوقوع في مستنقع الرذيلة.

ج ـ العنف الجسمي والجنسي الذي تلجأ اليه بعض الحكومات أو تغض النظر عنه في بقاع مختلفة من العالم.

تبعات العنف ضد النساء

من بواعث الأسف ان التبعات الناجمة عن إنتشار ظاهرة العنف ضد النساء لايمكن تحليلها لان هذه الجريمة البشعة لاترتكب على مرأىٰ الناس وكذلك لعدم توفر المعلومات والاحصاءات الدقيقة حولها ولكن يمكننا ان نعتبر الخوف من أكبر تبعات هذه الحالة. فالخوف من التعرض للعنف يمنع النساء من التفكير بالحياة المستقلة والاستغناء عن الدعم الرجالي والذي يكون في حالات كثيرة سبباً لتعرضهن الى الأذىٰ والابقاء على تابعيتهن للرجال مما يعرقل مسيرة إقتدار المرأة. ان الخوف من العنف يؤدي الى إضمحلال القابليات المكنونة في المرأة والتي تمكنها من احراز التقدم وتحسين ظروف المجتمع.

اضافة الى ذلك، فان تعرض النساء للعنف الى جانب مايصيبهن من اضرار جسمية عنيفة ومن إعاقات أشارت اليها تحقيقات العقود المنصرمة الجارية في مجتمعات مختلفة، يترك في نفسية ضحاياه بصمات وخيمة مستعصية العلاج، منها: الكآبة المزمنة، اختلالات الشخصية، الاضطراب الشديد والاختلالات النفسية ـ الجسمية. واخيراً من التبعات النفسية السيئة للعنف ضد النساء، اضمحلال

الشخصية وشل قدرة المرأة على إتخاذ أي قرار من الناحية النفسية وهي حالة تسمىٰ بالايذاء وتتضمن الشعور بـالخوف، تـحمل شـتىٰ المواقف والظروف وكذلك الاصابة بالكآبة التي تـدفع المـصاب الى الانتحار في بعض الحالات.

العنف في الاسرة

تتركز تقارير منظمة الامم المتحدة عـلى الاشكـال المـختلفة للعنف ضد النساء في الاسرة. والعنف العائلي هو العنف الذي تواجهه المرأة من قبل الرجل في الاسرة، وهو من الحالات الواضحة لنقض الحقوق الانسانية للمرأة أو بالاحرىٰ نقض حقوق الانسان. ومن شأن بعض السياسات الحكومية التي تدعم العنف وتغض النـظر عـنه، ان ترسخ ظاهرة اللجوء الى العنف ضـد النسـاء. ان الشـعور بـالتفوق الجنسي يمنح الرجل حق اللجوء الى ضرب المرأة وسبها أو تعريضها للـعقاب البـدني بـغية إثـبات رجـولته وهـذا مـا خـولته له الرؤىٰ الاجتماعية المتجذرة في اعماق الثقافات التقليدية منذ القدم.

انواع العنف العائلي

تواجه النساء في مختلف مراحل حياتهن اشكالاً متنوعة مـن العنف الخاص بالجنسية، وأكثرها عائلية يستخدمها ضدها في الجو الأسري الآمن أعزّ وأقرب الاشخاص اليها. ويـختلف نـوع العـنف المتبع ضد النساء والفـتيات حسب المسـتوىٰ الثـقافي السـائد فـي

المجتمع، كالاجهاض بغية التخلص من الجنس غير المرغوب أو قتل المواليد من الاناث.

والعنف ضد الفتيات يكون اما بالتمييز الغذائـي أي تـخصيص الطعام السيىء لهن دون الذكور، التمييز في مستوىٰ الرعاية الصحية والخدمات الدراسية المبذولة لهن أو اساءة التعامل الجسمي والعاطفي معهن. ومن أنواع العنف التي تتعرض لها الفتيات من قـبل الابـوين: اغتصاب المحارم، بتر الاعضاء الجنسية الحساسة، الزواج المبكر، بيع الابناء وزجهمّ في وادي الرذيلة أما العـنف العـائلي الذي تـواجـهه النساء، فيكون في اغلب الأحيان متأطراً بإطار التهديد، الاغـتصاب والعنف الجسمي المؤلم كالرفس، تسديد اللكمات، الصـفع، الخـنق، الحرق، استعمال الحوامض، الرمي بالأشياء، الطعن بالسكين واخيراً الضرب حتى الموت. ان اساءة المعاملة أو التعذيب النفسي هو نوع آخر من أنواع العنف ويتضمن فرض القيود بغاية مـنع رقـي المـرأة الاجتماعي، الحرمان الاقتصادي وكذلك التـلاعب بـالمرأة والتـلذذ باستسلامها وتحقيرها. وهي اساليب تؤول في النـهاية الى الاصـابة بالخوف والهلع والاضمحلال النفسي الذي يؤدي بالتالي الى فـقدان الثقة بالنفس، إنعدام القدرة علىٰ اتـخاذ القـرارات والشـعور بـالعجز والوهن.

نتائج الاحصائيات حول ضرب النساء

رغم الاحصائيات المتنوعة التي اقدم عليها فـي شـتىٰ بـلدان

العالم حول العنف العائلي إلّا أن اغلب النتائج المتوفرة يتعلق ببلدان شمال اوروبا، كندا والولايات المتحدة الاميركية. وتؤكد الوثائق المتوفرة في هذا الصدد إزدياد اعمال العنف ضد النساء وبعدها (دون أدنىٰ ريب) كل البعد عن المزاح في أكثر البلدان. وسنشير هنا الى بعض هذه النتائج:

● ان اكثر من ٨٠٪ من حالات الاعتداء المبلَّغ عنها في عام ١٩٨٥ في مدينة سايوبولوي ببرازيل، تعرضت اليها النساء من قبل أزواجهن أو عشاقهن.

● ظهرت بعد إزدياد حالات الطلاق السريعة الانتشار في الصين ظواهر استخدام العنف في العائلة. وتشير الاحصاءات الى ان ٢٥٪ من حالات الطلاق كان منشأها تعرض النساء للضرب والسب.

● تشكل النساء ٩٥٪ من ضحايا حالات العنف المبلَّغ عنها في فرنسا. وتتعرض ٥١٪ من المتعرضات للعنف في هذه الحالات الى التعذيب المصحب بالاعتداء الجنسي من قبل الأزواج.

● أثبت احصاء طارىء أجري عام ١٩٩٠ في غواتمالا أن ٤٩٪ من النساء يشكين سلوك أزواجهن وسوء معاملتهم الجسمية والنفسية والجنسية معهن.

● تعاني ٩٠٪ من النساء الهنديات جسمياً ونفسياً من سوء سلوك أزواجهن حسب احصاء أجري في الهند حول استخدام العنف ضد النساء. و ٩٠٪ من حالات قتل النساء يرتكبها الازواج في هذا البلد.

● وفي جمهورية تنزانيا المتحدة أبلغت ٦٠٪ من النساء عن تعرضهن للضرب والسب من قبل الأزواج.

● يتعرض نحو مليوني امرأة في الولايات المتحدة الاميركية سنوياً الىٰ الضرب من قبل شريك حياتهن بشكل يستوجب تلقي العلاج الطبي في نصف هذه الحالات.

● في إحصاء أجري عام ١٩٩٢ في زمبابويا صرحت ١٧٪ من النساء ان التعرض للعنف الجسمي والنفسي خلال الحياة الزوجية أمر طبيعي تماماً.

● تنتهي حياة عدد غفير من الفتيات والنساء في الهند والصين بسبب استمرار التقاليد الثقافية القائمة على اساس التمييز بين الإناث والذكور.

وأكد تحقيق سريري ان اللجوء الى الوسائل والطرق العلمية المتطورة كالسونا في الهند بغية تعيين جنسية الجنين كان السبب في إجهاض ثمانية آلاف جنيناً كان ٧٩٩٧ منهم من الاناث. وبيّن مسح آخر أن ٩٥,٥٪ أي أربعين الف جنيناً من الاناث قد تم التخلص منهن بالاجهاض في مدينة بمباي.

● يتم في كثير من بلدان القارة الافريقية وبعض البلدان الآسيوية اختتان الفتيات أو بتر اعضائهن الجنسية الحساسة طبقاً للتعاليم والثقافات التقليدية الخاطئة التي تنتمي اليها الجاليات المهاجرة الىٰ هذه المناطق وقد سجلت استراليا ازدياد ظاهرة اختتان الفتيات والافراط في بتر اعضائهن الجنسية بين جاليات أربع من

الدول (صوماليا، اريتريا، اثيوبيا والسودان) بنسبة ١٥٤٪ منذ عام ١٩٩١.

● في عام ١٩٩٢ تعرضت ١٢٠٠٠ امرأة الى الاغتصاب إبان الحروب الداخلية التي شهدتها يوغسلافيا السابقة.

● وتشهد الولايات المتحدة الاميركية وقوع حالة اغتصاب كل ست دقائق (كاريلو[1] ١٩٩٢) لاتُبلَّغ الشرطة عن ٨٥٪ منها وتتحدد نسبة المحكومين بالسجن من مرتكبيها بـ ٥٪.

● اعترفت ٨٠٪ من النساء في مدينة سانتياغوا بتشيلي أنهن ضحايا العنف في قعر دورهن.

● في پايوا التابعة لغينيا (بيساو) يتم استغلال ٦٧٪ من القرويات و ٥٦٪ من النساء في المدن من قبل الازواج.

● تتعرض امرأة من كل اربع من النساء الى الهجوم الجنسي في كندا.

● ان سوء التغذية من الحالات الأكثر شيوعاً بين البنات منها بين البنين في قرىٰ بنغلادش وبنسبة ثلاث فتيات إزاء فتى واحد مصاب بهذه الحالة.

● توفد سنوياً (٨ـ ١٠) آلاف فتاة من تايلند الى اليابان لممارسة أعمال البغاء.

● وقعت خلال الثلاث سنين المنصرمة ١١,٢٥٩ حالة قتل

1_ Carrilo.

جراء نشوب خلافات حول اعداد جهاز العروس في الهند.

● ٩٩٪ من ربات البيوت في الباكستان عرضة للضرب من قبل الازواج.

يتجاوز عدد النساء من ضحايا الاختتان في افريقيا (حسب احصاء منظمة الصحة العالمية) ٨٥ مليون امرأة (شولير[1] ١٩٩٢).

● تتعرض امرأة واحدة في كل دقيقة ونصف الدقيقة في افريقيا الجنوبية الى الاعتداء الجنسي ويصل عدد ضحايا هذه الظاهرة سنوياً الى نحو ٣٨٥,٠٠٠ امرأة.

● خلال احصاء أجرته منظمة الامم المتحدة في سيريلانكا، اعلنت ٦٥٪ من النساء أنهن كن عرضة للعنف العائلي طوال سنين حياتهن الزوجية. ولم يشير هذا الاحصاء الى العنف ضد النساء في البلدان الاخرى ومنها إيران.

المتعرضات للعنف

يطلق على النساء اللواتي يقعن فريسة العنف الشديد والتعذيب الجسمي أو النفسي مرتين على الأقل طوال حياتهن الزوجية اصطلاح المتعرضات للعنف أو المعنوفات (والكير[2] ١٩٨٠). ويحدد البعض العنف بحدود التعذيب الجسمي بينما يعتقد أغلبية علماء النفس والمفكرين ان آثار التعذيب النفسي مثل الارعاب

---

1 _ Showler.

2 _ Walker.

وتحطيم شموخ وعزة النفس هدامة بنفس الدرجة التي ينتهي بها التعذيب الجسمي بل تسبب أحياناً أذىً وآلاماً أشد من التعذيب الجسمي في الانسان.

وتبين الأبحاث ان أكثر حالات العنف وتعذيب المرأة تتعرض له من قبل الزوج في البيت، وتؤكد الاحصاءات الاميركية ان ٢٠ـ٥٠٪ من هؤلاء النساء تعرضهن للضرب من قبل أزواجهن أو عشاقهن (روسِل[1] ١٩٨٢).

وبما ان الرأي العام السائد في المجتمعات التقليدية يدعو النساء الى الصمت إزاء العنف العائلي ويذمّ اعلان المرأة عنه فان نتائج الاحصائيات الجارية حول نمطه غير مضبوطة ولاتبين الحقائق كما هي. ومجتمعنا الايراني لايُستثنىٰ من هذه القاعدة أيضاً.

خصائص المتعرضات للعنف

دورة العنف: لاتكون هذه الفئة من النساء معرضة بشكل مستمر الى العنف بل تتبع دورة خاصة تقسم نفسياً إلىٰ ثلاث مراحل هي:

المرحلة الاولى: مرحلة الاصطدام والانفعال وتتعرض المرأة خلالها الى الضرب الجزئي فتحاول إنهاء الازمة بانسحابها والتزامها الصمت وإعادة الهدوء الى الرجل.

المرحلة الثانية: ويعترف فيها الرجل بضرورة ابتعاده عن الثورة

1_Russel.

والانفعال احترازاً من فقدانه السيطرة على أعصابه. وتتكرر هذه الحادثة مراراً في الحياة الزوجية.

المرحلة الثالثة: تنتهي الثورة العصبية الناجمة عـن المـرحـلتين الاوليتين في اعقاب اعتذار الرجل وتقديمه الوعـود بـالامتناع عـن استخدام العنف ثانية وبطلب السماح من الزوجـة مـما يـولد لديـه الشعور بالذنب ويدعو المرأة الى تناسي الحادثة. ومع هذا قد تـبقىٰ الآثار النفسية السيئة للمرحلتين السابقتين مترسخة في اعماق نفس المرأة. ان طول كل مرحلة من هذه المراحل أمر لايمكن التنبؤ به مع الأسف. وقد تتكرر هذه الدورة ثانية جراء حوادث متنوعة.

الوضع النفسي للمتعرضات للعنف

اجريت تحقيقات عديدة خلال العقود المنصرمة حول خصائص النساء المتعرضات للعنف.ومن الصعوبة تعيين الخصائص التي تعرض المرأة للضرب أو الخصوصيات التي تكسبها بعد تعرضها لهذه الحالة. ويعتقد الأخصائيون ان المصابات بالكآبة والبارانـويا أكـثر عـرضة للضرب. وتؤكد مجموعة اخرىٰ من الاخصائيين (من حـماة نـهضة تحرر المرأة) أن تعرض النساء الى الضرب هو الذي يسبب اصابتهن بالكآبة أو البارانويا (بوغراد[1] ١٩٨٢). وتبين التـحقيقات الجـارية خارج بلادنا وتحقيقاتي أنا داخل ايران، أن هؤلاء النساء بشكل عام

1_Bograd.

يفقدن الثقة بانفسهن ويضعف لديهن الاحساس بالشموخ وعزة النفس بل انهن يشعرن بعدم جـدارتـهن لتـحمل مسـؤوليتهن تـجاه الزوج والابناء وبالاحباط الىٰ درجة ينسبن الحق الى الرجال في ضـربهن فهن مطيعات مذعنات لازواجهن، يكبحن جماح غضبهن تـارة ثـم أحياناً يعلن عن ثورتهن بارتياح بعد ذلك. ان فقدانهن الدعم يشعرهن دوماً بعجزهن عن تغيير مسار حياتهن ويعتقدن ان أية محاولة في هذا السياق تزيد الوضع سوءاً. ان هؤلاء النساء يـذمن انـفسهن بشكـل مستمر ويلقين مسؤولية المشاكل والاضطرابات التي تطرأ على الحياة الزوجية الى عدم جدارتهن لادارة شؤونها.

وبالتالي تحاول المرأة المتعرضة للضرب والسب تغيير سلوكها بالشكل الذي يؤدي الى الحد من تعرضها لهذه المسألة.

الوضع النفسي للرجال المهاجمين

يخفت الشعور بعزة النفس لدى الرجال الذيـن اعـتادوا عـلى ضرب زوجاتهم وهم الى جانب عملهم المذموم هذا يـبررونه بـانه مجرد رد فعل (إرتكاس) عصبي لما أثارته الزوجة لديهم من غضب ويتنكرون لمسؤوليتهم إزاء مايصيبها من اضرار جسمية ونفسية كأن يقول أحدهم «ان تصدع عظام ساعِدها حـدث إثـر وقـوعها عـلى الارض إثناء تخاصمهما».

ويتصف اغلب هؤلاء الرجال بالحسد والشعور الحاد بالملكية إزاء زوجاتهم فهم يرغبون بمعرفة تفاصيل كاملة عما تصنعه المرأة أو

يجول في خاطرها وتأخذهم الافكار الخاطئة حول علاقة الزوجة بالرجال من اقاربها وزملائها فيفسرون تصرفاتهن على انها دلال ومرح يبتغين به استقطاب إنتباه الرجال ضمن علاقات غير سليمة. ان وقار هؤلاء الرجال يحدو بالناس لاستبعاد فكرة مبادرتهم لضرب زوجاتهم.

ولم تبين التحقيقات زيادة نسبة هؤلاء الرجال في فئة خاصة من فئات المجتمع ولكن هذه الظاهرة ملحوظة عند العاطلين عن العمل أكثر من العاملين. وتدل هذه التحقيقات على أن الرجال القساة قد ذاقوا طعم تجارب مرة اخرىٰ في هذا المضمار قبل حياتهم الزوجية. فقد بيّنت أبحاث شولير[1] (١٩٨٢) ان ٨١٪ من هؤلاء الرجال ترعرعوا في عوائل تعرضوا فيها الى الضرب كراراً أو شهدوا تعرض أمهاتهم للضرب خلافاً للنساء المتعرضات للضرب فإن نسبة لاتتجاوز عن ٣٣٪ منهن ترعرعن في مثل هذه الظروف. وأكثر هؤلاء الرجال يعرضون أطفالهم أيضاً للضرب ولكن لاينكر أن بعضهم لايمس أبنائه بأدنىٰ ضرر جسمي.

خرافات حول النساء المتعرضات للضرب

١ ـ العنف ضد النساء من خصائص الفئات المتدنية من المجتمع. وهذا رأي غير صحيح ولاتؤيده التحقيقات.

---

1 _ Showler.

٢ـ عدم وجود احصائيات كافية أو دقيقة عن حالات التعرض للعنف أو الضرب لعدم توفر المعلومات الدقيقة والاحصاءات العينية حول هذه الظاهرة في جميع المجتمعات. وهذا أيضاً اعتقاد غير مقبول.

٣ـ ان المتعرضات للضرب مصابات بالماسوشية (الماسوشي هو الملتذ من الضرب والتعذيب الذي يرافق الممارسات الجنسية في اغلب الأحيان، اي ان تعذيب الماسوشي يرضي حافزه اللاشعوري لعقاب الذات). ومع زيادة عدد من يتبنون هذه النظرية إلّا أنه لايوجد دليل موثوق لاثبات هذه الخرافة.

٤ـ ان النساء المتعرضات للعنف يهيئن بسوء سلوكهن الارضية لمثل هذه الحالة. ان سلوكه، الخاطىء عند تخليهن عن واجباتهن في إطار مسؤولياتهن الزوجية هو الذي يعرضهن للضرب. إذن العتاب يجب ان يكون موجهاً للمرأة لا الرجل. ان هذا الرأي يتنكر للحقيقة وهي ان الرجال يفقدون احياناً سيطرتهم على اعصابهم لدوافع شخصية أو حالات روحية باطنية تنتابهم، وان تأخر المرأة في إعداد الطعام أو ما تقوم به من اعمال أو ماتمتنع عن القيام به من أعمال ذرائع لاغير يتمسك بها الرجل لتبرير استخدامه للعنف الذي يعود في الحقيقة، كما قيل، الى دوافع شخصية أو نفسية (والكر وآخرون ١٩٧٩).

٥ـ بامكان المعنوفات الانفصال عن ازواجهن أي تناسي دورهن ومسؤوليتهن وعلاقاتهن الشخصية بافراد العائلة وترك كل

شيء وراء ظهرانيهن والانفصال عن أزواجهن ولكنهن لايفكرن بذلك لما تطفح به قلوبهن من مشاعر الود والمحبة تجاه أزواجهن، لانهن يتصورن أن بمقدورهن اصلاح سـلوك الازواج. ورغـم ذلك فـإنهن يشعرن بالذل والفشل، وانه لابد لهن مـن اصـلاح الزوج أو تـحمله والتزام الصمت. يذكر ان هؤلاء النسوة حتىٰ في حالة انفصالهن عن ازواجهن يتعرضن لمطاردتهم أو إيذائهم لهن بعد الطلاق.

نهج النساء من ضحايا العنف

تتخذ المتعرضات للعنف العائلي الزوجي خلال مسيرتهن لحل هذه المشكلة احدىٰ الطرق الثلاث التالية:

١ ـ مواصلة الحياة الزوجية.

٢ ـ المحافظة على العلاقات الزوجية الى جانب بذل المساعي لحل هذه المشكلة.

٣ ـ وضع حد (آني أو دائمي) للعلاقات الزوجية.

إلّا ان الاساليب الأكثر فائدة هي: العلاج النفسي، البرمجة لتوفير الدعم اللازم، زيادة المعلومات وتعزيز الذات. واخيراً إتخاذ الخطوات الرادعة لمنع الازواج من مهاجمة زوجاتهن.

العلاج النفسي

العنف العائلي جريمة ترتكب ضد المرأة في اطار الاعتداء على حقوقها الانسانية ولن تمحىٰ آثاره تلقائياً أبداً من سـجل ذكـريات

المتعرضات للعنف.لأنهن بحاجة الى علاج نفسي طويل الأمد ليتمكن من التخلص من الشعور بالنقص والعجز والاستعاضة عنها بالاحساس بعزة النفس والثقة بها. اما العوامل الاصيلة للعنف وهم الرجال فانهم لايشعرون عادة بحاجتهم لمراجعة اخصائي علم النفس والمشاورين النفسانيين إلّا في حالة تهديدهم من قبل الزوجات بالطلاق. وهناك ثلاثة أساليب طبية تتخذ لمعالجة النساء المتعرضات للعنف، وهي:

العلاج الفردي، العلاج الجماعي والعلاج الثنائي.

ويتأتىٰ للنساء بالعلاج الفردي، إن تم عن طريق متخصصين مقتدرين، استعادة شعورهن بعزة النفس والاستقلال.

والعلاج الجماعي ويمكنه التوصل الى نتائج مثمرة جداً ويشمل إجتماعات للمرضىٰ باشراف اخصائي متمرن، تتبادل النساء خلاله معلوماتهن ويناقشن مشاعرهن مما يأخذ بأيديهن للوصول الى مردودات إيجابية وإتخاذ قرارات سليمة.

العلاج الثنائي وهو من أفضل الاساليب العلاجية المتبعة في هذا السياق.

ومن المؤسف انٰ أكثر المصابين وخاصة ممن اشتدت حاجتهم لمعونة الاخصائيين النفسيين ينبذون العلاج أكثر من غيرهم فهم لايعللون عنفهم ضد زوجاتهم بمعاناتهم الشخصية من مشكلة ما ويرون انهم براء من كل حالة غير طبيعية. وتخاف المرأة من طرح هذه القضايا لكي لاينتهي بها الامر الى إستخدام نوع آخر من العنف ضدها. وأنا استناداً الى ممارستي الطويلة الامد لمهنة المشاورة

النفسية أوصي هؤلاء الازواج بمراجعة الاخصائيين على إنفراد لفترة من الزمن وعدم اللجوء الى العلاج الثنائي في الوهلة الأولىٰ.

زيادة المعلومات العامة وتنمية قابليات المرأة

ويشمل هذا الاسلوب توعية افراد المجتمع وتزويدهم بمعلومات كافية عن حقوقهم الفردية، العائلية والاجتماعية، وترسيخ هذا المفهوم الذي يؤكد ان استخدام العنف ضد النساء جريمة بحقها بل اعتداء علىٰ حقوقها الإنسانية.

ومن الضروري لمكافحة هذه الجريمة الانسانية البشعة إنعقاد المؤتمرات والندوات التلفزيونية المثمرة ودعوة المحققين لدراسة هذه الظاهرة بشكل جاد وعقد الاجتماعات التشاورية الجماعية مع النساء، المشاورين النفسانيين، اخصائيو علم النفس والمندوبين عن النساء.

البرمجة لتوفير الدعم اللازم

ان توفير الدعم الفوري اللازم لضحايا العنف، يعد من أهم واجبات المجتمعات. فعلىٰ فرق الإغاثة مدّ يد العون لهؤلاء النسوة في الازمات التي يواجهنها ويجب اعداد الامكانات الضرورية لتسهيل امر القيام بهذه المهمة مثل تخصيص بعض خطوط الهواتف للاعلان عن هذه الازمات، توفير الملاجيء و... لهن.

- تأهيل الضحايا للتبرع باغاثة امثالهن من المتعرضات للعنف.
- الاعلان عن طريقة تقديم العون المالي للضحايا.

- توسيع نطاق خدمات المشاورة، بغية تقديم العون المستمر للضحايا.

اساليب علاجية للرجال، مرتكبي الجريمة

- اصلاح الرجال عن طريق التدريب والتعليم والتشاور.
- اجراء تعديلات قانونية.
- واخيراً تبادل الآراء والتجارب خلال مؤتمرات شعبية ودولية تبحث موضوع الاسرة، حقوق الانسان، النساء والاطفال.

ان المصادقة على القوانين الوطنية وتوقيع الاتفاقيات الدولية وعقد الندوات والمؤتمرات الاقليمية حول العنف العائلي، توسيع الخدمات التعليمية والتربوية بغية توفير الأمن، التفاهم والتعايش السلمي في ظل الهدوء والسلام الذي يعم العائلة والمجتمع، تعد جميعها من الاساليب الوقائية المفيدة لمواجهة هذه المشكلة الانسانية والعائلية المستعصية التي تجتاح المجتمعات العصرية بشكل عام.

* * *

الفصل الحادي عشر

المرأة ونهج الحياة

نهدف من وراء طرح موضوع نهج الحياة الى تعرف المرأة على الاساليب الصحيحة للمحافظة على الصحة والطرق الكفيلة بتوفير الرفاه والسلامة لها نظراً لما يؤديه الوضع الجسمي، النفسي والفكري من أدوار متعددة ومعقدة في الحياة الفردية والعائلية والاجتماعية.

اسس الصحة

تذكرنا كلمة الصحة في اغلب الاحيان بالامراض والاصابة بها، لان الصحة حسب النظرة التقليدية تعني إنعدام المرض، اي ان فقدان الاعراض المرضية لدى الانسان يدل على تمتعه بالصحة. لقد قدمت منظمة الصحة العالمية عام ١٩٤٧ تعريفاً أشمل عن الصحة وهو: (الصحة عبارة عن التمتع برفاه اجتماعي ووضع جسمي ونفسي متكامل تقريباً ولاتعني مجرد إنعدام المرض والضعف والآلام).

ومع ذلك مازال الكثير من الناس يحسب ان التمتع بالصحة تتلخص بانعدام المرض، لان الرعاية الصحية إنما تستهدف معالجة الامراض. وان القسم الأعظم من مدفوعات شركات الضمان تأتي في سياق معالجة الأمراض ودفع مصاريف رقاد المرضىٰ في المستشفيات. لقد عمّ نظام رعاية المرضىٰ أكثر المجتمعات العصرية، ومجتمعنا الايراني واحد منها، بدلاً من تعميم نظام رعاية الصحة الذي يستهدف المحافظة على دوام الصحة باساليب مختلفة كالرعاية الطبية، الوقاية من الامراض وازدياد الاهتمام بالصحة. وتصبح الرعاية الطبية ضرورية مع بداية المرضىٰ والتوجه لمعالجته بغية الحد من آثار المرض المضعفة في المريض. اما الوقاية من الامراض فتبدأ بالابتعاد عما يهدد سلامة الانسان كالاخطار البيئية وتستمر بالاحتراس من التبعات الضارة لهذه الأخطار.

وقد طرأت تحولات جديدة على نمط الرعاية الصحية فتمحورت حول الرعاية الذاتية وتشمل جميع الاعمال والنشاطات التي يقوم بها الفرد بغية المحافظة علىٰ صحته وسلامته. وهذه الرعاية لاتعني الاستغناء عن الطبيب بل يقصد بها إتساع دائرة مسؤولية الفرد للمحافظة على سلامته وصحته بدلاً من تحديد الرعاية بما يقدمه الطبيب له.

نهج الحياة والصحة

تطرقت تحقيقات واسعة منذ السبعينات وحتىٰ الآن لدراسة

الصلة بين نهج الحياة والصحة. وأحد هذه التحقيقات كان المسح الذي أجراه بلاك وبرسيلو. والذي تضمن دراسة طباع ونهج ٧٠٠٠ شخص بالغ في الحياة واستمرت ست سنوات أثمرت عن نتائج أكدت وجود علاقة وثيقة بين نهج الحياة والصحة من جهة والطباع الصحية من جهة اخرىٰ. ومنها:

١ـ التقيد بتناول الطعام خلال ثلاث وجبات منظمة دون وجبات ضمنية تتخللها.

٢ـ القيام بنشاطات بدنية ورياضية مرتين أو ثلاث مرات علىٰ الأقل اسبوعياً.

٣ـ النوم بمقدار كاف (٧ـ٨ ساعات ليلاً).

٤ـ الامتناع عن التدخين.

٥ـ الحفاظ على الوزن المناسب.

٦ـ الامتناع عن تعاطي المخدرات والكحول.

أعلىٰ مستويات الرفاه

يؤكد العلماء انطلاقاً من النتائج التي أفرزتها التحقيقات ان من شأننا تعيين مصير سلامتنا في الوقت الحاضر الى درجة كبيرة جداً. وللاجابة علىٰ هذا السؤال: ماهي الصحة المنشودة؟ نقول أن توفر الصحة أمر أوسع بكثير من إنعدام المرض وتتضمن التنعم بالسلامة في كافة أبعاد وجود الانسان، الطاقة المثمرة والحيوية والنشاط، الرقي والارتياح. إن دأب الانسان الحثيث من أجل تحسن مستواه

الصحي وتحقيق أعلىٰ مستويات الرفـاه. وبـعبارة مـختصرة التـنعم بالصحة واقع جميل ومستهدف طوال حياة الانسان.

والمستوىٰ الصحي المنشود أمرٌ يسعىٰ الناس بكافة فئاتهم وفي كافة مراحل العمر (الطفولة، الشباب والشيخوخة) وجميع شرائـحهم الاقتصادية، الاجتماعية (الفقيرة والمتمولة) وبمختلف قدراتهم (القوي والعاجز) الى توفيره والتنعم به ويتوقف ذلك علىٰ مدىٰ النجاح فـي اختيار الأفضل، اتخاذ القرارات الأقوم، تحمل المسؤولية والتـخطيط الواعي. من المسلم به ان هذه الأهداف لاتتحقق تلقائياً وبسهولة ولا حسب الصدفة أو بضرب من محالفة الحظ بل تستلزم سعي متواصل في سـياق إسـتخدام القـوىٰ المكـنونة بـالقوة فـي كـيان الانسـان واستثمارها بشكل صحيح وتأهيل الذات والبيئة بغية توفير متطلبات الحياة الملذة، المثمرة والمفعمة بالطراوة والانتاج.

أبعاد الرفاه المنشود

النهج الصحيح في الحياة هو نظام متسق ومتجانس يتضمن ستة أبعاد. هي: الابعاد الجسمية، الفكرية، النفسية، الاجتماعية، المـعنوية والمهنية. ان هذه الابعاد الفاعلة في مـجالاتها المـختلفة تسـتوحي تأثيرات جدّ عميقة من بعضها البعض. إذ لايمكن إعتبار المثقف من هواة المطالعة أو الرياضي إن فشلا في علاقاتهما مع الآخرين امثلة حية لمن ينتهج برنامجاً صحيحاً ومنظماً في الحـياة. وسـنقدم هـنا تعريفاً مختصـراً لكل من هذه الأبعاد.

الأبعاد الجسمية

يطلق البعد الجسمي على حصيلة نشاطات الجسم ويتضمن الاستعداد الجسمي، القوة العضلية، المناعة والإستقامة، اوضاع القلب، وضع التنفس ومرونة الشخص. ويترتب توفر الصحة الجسمية على امور، منها: التطبع بالطباع الغذائية الملائمة، الالتزام بنظام غذائي سليم، النوم الكافي، الرعاية الصحية والطبية، القيام بنشاطات جسمية منظمة يومياً أو ثلاث مرات اسبوعياً على الأقل والابتعاد عن تعاطي أي نوع من أنواع المخدرات والكحول أو التدخين.

الأبعاد الفكرية

البعد الفكري هو حصيلة عملية التفكير لدى الانسان. ان الرقي الفكري لاينحصر بما يتلقاه الانسان من السلك التربوي والتعليمي الرسمي بل يتضمن مايكتسبه من علوم في مراحل حياته ومن مردود إنشغال عقله بالنشاطات الفكرية المبدعة. ان التعلم والتفكير نشاط لاينتهي بحد معين ويتضمن: القراءة والكتابة وتفهم مايجري من امور والتفكير واكتساب العلوم. إذن العلاقة بين العقل السليم والحياة السليمة مسلمة لايمكن إنكارها بأي شكل من الأشكال.

الابعاد النفسية

يترك الوضع النفسي للانسان آثاراً مباشرة على صحة الانسان. ويتضمن ابعاد ثلاثة. هي: الوعي، الاعتراف والتقييم وأخيراً الضبط النفسي. الوعي النفسي هو تقييم المشاعر الذاتية واحاسيس الآخرين.

والاعــتراف النــفسي يـعني الاعـتراف بـقابليات ونـقائص الذات والآخرين. اما الضبط النفسي فيعني القدرة عـلى مـجاراة المشـاعر الذاتية والتمتع بالاستقرار العاطفي عند مواجهة القضايا المختلفة في الحياة. مثل: التلذذ من الحياة، الإنسجام مع التغيرات، مجاراة الضغوط النفسية.

الابعاد الاجتماعية

الانسان كائن اجتماعي بالطبع ويحتاج الى الارتباط بالآخرين والعيش بينهم. وهذا البعد من أبعاد شخصية الانسان يشـمل القـدرة على مجاراة الآخرين، تحمل الاختلافات الفـردية، التـحلي بـالعدل والانصـاف والتعبير عن الاهـتمام بـابناء النـوع البشـري ومـحبتهم سلوكياً وكلامياً.

الابعاد المعنوية والروحية

ونقصد بالأبعاد المعنوية، مدىٰ سمو وتـعالي نـفسية الانسـان وروحه ويستند الانسان المتسامي المعنوية الى قاعدة دينية إيـمانية قوية تعلمه ان الحياة مستهدفة وان الله حي شاهد على بني الانسان في جميع لحظات حياته. وهذا مايدفعه للسعي في سبيل تحقيق حياة مستهدفة ذات معنىٰ، يستمتع فيها بلذات حقيقية ويكبّ خلالها على التمسك بالقيم والمعتقدات والأصول الأخلاقية التـي تـحدد لحـياته الفردية والاجتماعية أهدافها اللائقة بالانسان.

الأبعاد المهنية

الابعاد المهنية عبارة عن الشعور بالارتياح والسرور الناجم عن العمل والنشاط البناء، السليم والهادف الذي ينجزه الانسان في الحياة سواء في مجال إدارة شؤون البيت وتربية الأطفال أو على صعيد النشاطات الاجتماعية أو كليهما. ومن الأهمية بمكان أن يشعر الانسان بالارتياح نفسياً من العمل الذي ينجزه يومياً وان يتمتع بالأجر والمكافأة اللائقة أيضاً لأنه يقضي اغلب ساعات يومه في إنجاز عمله. والصحة والسلامة المهنية كذلك تعني التوازن مابين العمل وأوقات الفراغ.

الاستنتاج

بغية إتباع النهج الأفضل في الحياة من أجل توفير الصحة الجسمية والنفسية المنشودة، علينا الاهتمام بجميع الابعاد الجسمية، الفكرية، النفسية، الاجتماعية، المعنوية والمهنية. والانسان السليم هو من يفلح في تحقيق الرقي والتكامل في جميع هذه الابعاد لأن التساهل وإهمال كل منها يخلّ بالنظام الصحي أو النهج الذي يتبعه الانسان في الحياة. وقد يقوىٰ بعدٌ أو بُعدان منها ويسرع رقيها في برهة من الزمن أكثر من غيرها. ولكن ما يؤمن سلامته العامة هو الحفاظ على التوازن في درجة رقيها جميعاً معاً وكما قيل فان إتباع النهج الصحيح في الحياة أمر ضروري لجميع بني الانسان بغض النظر عن الجنسية أو العمر أو الشريحة الاجتماعية ـ الاقتصادية التي

ينتمون اليها. ان ضرورة إستقامة نهج حياة المرأة أمر مسلم به نـظراً لأهمية رقيها المعقد والوقائع المهمة التي تواجهها في مراحل حياتها المختلفة والادوار المضاعفة التي تلعبها فـي الوقت الحـاضر عـلى صعيد الاسرة والمجتمع.

* * *

المصادر

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ الامام الخميني (رض)، ١٩٨٥، وجهة المـرأة فـي كـلام الامـام الخميني، وزارة الارشاد الاسلامي.

٣ ـ الاستاذ مرتضىٰ المطهري، ١٩٨٠، نظام حقوق المرأة في الاسلام، شركت افست (التابعة للقطاع العام).

٤ ـ الاسـتاذ الجـوادي الآمـلي، ١٩٩٠، المـرأة فـي مـرآة الجـلال والجمال، مركز رجاء للإعلام الثقافي.

٥ ـ الدكتورة معصومة ابتكار، الاسس الفكرية في وثيقة بكين، فرزانه، ١٩٩٥، رقم ٧ (١٣١ ـ ١٣٧)

٦ ـ زهراء رهنورد، إشراقة المرأة المسلمة.

٧ ـ علي شريعتي، ١٩٧٨، المرأة في نواظر محمد (ص) وقلبه.

٨ ـ جميلة كديور، ١٩٩٦، المرأة، طهران، مؤسسة اطلاعات.

٩ ـ رادهيكا كوماراسوامي، حـقوق الانسـان والعـنف ضـد النسـاء، فرزانه، ١٩٩٦، رقم (٧٩ ـ ٩٢)

١٠ ـ الاستاذة منيرة گرجي والدكتورة شكـوه نـوابـي نـژاد ١٣٨٩،

الاسس النظرية في شخصية المرأة في الاسلام، المجلس الثقافي ـ الاجتماعي للنساء، المجلس الأعلى للثورة الثقافية.
١١ـ علي گلزادة غفوري، مكانة المرأة في القرآن، دار فتح للطباعة والنشر.
١٢ـ تقرير الورشة التشاورية، طرق تحسين سلامة المرأة، ١٩٩٤، وزارة الصحة والعلاج والتعليم الطبي.
١٣ـ الدكتورة شكوه نوابي نژاد، النار في الدار، فرزانة، ١٩٩٦، رقم ٨ (٩٣ـ١٠١).
١٤ـ الدكتورة شكوه نوابي نژاد، دور المرأة في الاسرة، أول مؤتمر دولي للمنظمات غير الحكومية، دور المرأة والاسرة في التنمية الانسانية، طهران، ١٩٩٥.
١٥ـ دور المرأة في التنمية، ١٩٩٧، مكتب شؤون النساء وصندوق رعاية الاطفال التابع لمنظمة الامم المتحدة يونيسيف.

References

1. Boneparth, E. and oghers, (1981), future vislons of women and work. womeh's world, 280-285.

2. Chasse guat, S.J. (1981). femalesexuality, virgo, virgo, London.

3. Davies, J.M. and others (1994) sexual Abusement Basic

Books, N.Y.

4. Foucault, M(1981) The History of sexuality, vol 1, penguin, London.

5. Gilligan, s(1977) wonen and Nature. Harvard univ. gamvride, M A.

6. Griffin, s(1977) Women and Nature. Harper Books co, N.Y.

7. Have. Mustin, T. and others, the Meaning of Difference, Amevican psychologist, 1988 vol 43, b(455-464)

8. Kaplan, A. the self-in- Relation, psy chotherapy Jr. 1986, vol23, 2(234-240)

9. Kings P (1980) The Life chcle of Middle_ agoed and elderly, intervational jrof psycho- analgsis. 61(153-159)

10. Lowe, M. and Hubbard, R. 1983. Women Nature, pergamen press, New york.

11. Maguire, M. (1995), Men, Women, passion and power. Gender Issues in psychology. Routhiedge, London.

12. Matlin, M. W. (1987) the psychology of women, chicago, Holt, Rinehavt and inston Inc.

13. Miles, Agnes, (1988) Telational concepts in pcycho-

analysis, Havvard univ. press Cambridge, MA.

14. Tosenstock, H.A. and others (1988), Journey Through Divorce. human press. Inc. New york.

15. Robbins, G. and others (1989), The wellness way of life. WM. c. Brown publishers. u.s.

16. Scarr,s. and orhers. working Mothers and their fumilies American paychologist, 1989, vol 44 No. 11(1402-1409).

17. waish, M.R. (1987), Can Sex Differencesin Math Achievement explained by Biology of woment, Ballon press, New york.

18. Ussker. J.M. (1989) the psychology of female Body, Routhledge, London.

19. Wiliams, J.H (1987) the psychology of women. Norton co. London.

20. Wingard, D. L. the sex differential in Morbildity, and life style, public Health Jr. 1984, 5 (433-438).

21. Zanavdi, C. 1990, Essential papers on the psychology of women University press, New York.

الفهرست



دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع
هاتف : ٠١/٥٥٠٤٨٧ - ٠٣/٢١٦٩٣٩ - فاكس : ٠١/٤٥١١٩٩
ص.ب : ٢٥/٢٨٦ - غبيري - بيروت - لبنان
URL :htty://ww.daralhadi.com
E-MAIL : daralhadi@daralhadi.com